

البعث الإسلامي

أنشأها فقييد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
 (في عام ١٣٧٥ - ١٩٥٥ م)

شخصية إسلامية مستقلة

ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى في دوائر الحكم كاتتجلى في دور
 العبادة، تتجلى في البرلمان ، كـما تتجلى في المسجد ، وتتجلى في أوساط التربية وأجهزة
 الاعلام ، كـما تتجلى في كلام الوعاظين ، وـجهاد المصلحين وـجهود الدعاة والعاملين .
 يـعتبر هذا الكتاب الذي يـجمع أحاديث الرسول المصطفى محمد بن عبد الله
 من أفضل المراجع المعتمدة والمـوثوق بها بعد كلام الله سبحانه وتعالى ، وقد
 نـقل الدكتور الفاضل محمد محسن خـان من جامعة المدينة المنورة على سـاكنـها أفضل
 السـلام معـنى هذا العمل الضخم إلى اللغة الانكليزية المـبسطـة .
 وقد تـمت طبـاعة النـص العـربـي جـنـباً إـلـى جـنـبـ معـ النـص الانـكـلـيـزـيـ المـتـرـجـمـ
 وـذلك لـسهـولةـ المـراجـعةـ ، وـإنـ هـذـهـ الطـبـعةـ مـتـوفـرـةـ بـسـعـرـ مـعـتـدـلـ ، فـسـعـرـ المـجـلـدـ
 دـيـنـارـ ١٣ـ٥ـ دـولـارـ ، وـ دونـ تـحـلـيدـ ٩٠ دـولـارـ . وـهـيـ وـاـصـلـةـ بـالـبـرـيدـ العـادـيـ
 إـلـىـ أيـ مـكـانـ فـيـ الـعـالـمـ ، وـ تـعـتـبـرـ هـذـهـ الأـسـعـارـ سـارـيـةـ حـتـىـ ٣١ـ دـيـسـمـبـرـ ١٩٧٩ـ .
 وـإنـ هـذـهـ الطـبـعةـ سـتـوزـعـ فـيـ كـافـةـ أـرـجـاءـ الـعـالـمـ وـ مـتـخـصـصـ تـخـفيـضـاتـ سـعـبـ
 الـرـوزـغـنـ فـيـ بـلـادـ ماـ وـ رـاءـ الـبـحـارـ .

وـصـحـيـهـ شـهـيدـ الشـهـريـ

سعـيدـ الـلـهـيـ

⊗ المـجلـدـ الـرـابـعـ وـالـعـشـرـونـ
 ⊗ فـبـرـاـيرـ وـمـارـسـ ١٩٨٠

⊗ العـدـدـ السـابـعـ

⊗ رـيـسـ الـثـانـيـ ١٤٠٠

Phone : 42948

Regd No LW/ NP59

ALBAAS-EL-ISLAM I
Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

الطبعة الأمريكية لـ صحيح البخاري

لـقد تم إـنجـازـ طـبـاعةـ المـراجـعةـ منـ كـتـابـ «ـ صـحـيـهـ البـخارـيـ »ـ بـالـلـغـتـيـنـ
 الـانـكـلـيـزـيـ وـالـعـربـيـ ، وـ تـقـعـ هـذـهـ الطـبـعةـ فـيـ ٩ـ بـجـلـدـاتـ .

يعـتـبـرـ هـذـاـ كـتـابـ الـذـيـ يـجـمعـ أـحـادـيـتـ الرـسـولـ الـمـصـطـفـيـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ
 مـنـ أـفـضـلـ المـرـاجـعـ الـمـعـتـمـدـةـ وـالـمـوـثـوقـ بـهـاـ بـعـدـ كـلـامـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـ تـعـالـىـ ، وـقـدـ
 نـقـلـ الـدـكـتـورـ الـفـاضـلـ مـحـمـدـ مـسـنـ خـانـ مـنـ جـامـعـةـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـهـ عـلـىـ سـاـكـنـهـ أـفـضـلـ
 السـلامـ معـنىـ هـذـاـ عـلـمـ الضـخـمـ إـلـىـ اللـغـةـ الـانـكـلـيـزـيـةـ الـمـبـسـطـةـ .

وـقـدـ تـمـ طـبـاعةـ النـصـ العـربـيـ جـنـباـ إـلـىـ جـنـبـ معـ النـصـ الانـكـلـيـزـيـ المـتـرـجـمـ
 وـذـكـرـ لـسـهـولـةـ المـراجـعةـ ، وـإـنـ هـذـهـ الطـبـعةـ مـتـوفـرـ بـسـعـرـ مـعـتـدـلـ ، فـسـعـرـ المـجـلـدـ
 دـيـنـارـ ١٣ـ٥ـ دـولـارـ ، وـ دونـ تـحـلـيدـ ٩٠ دـولـارـ . وـهـيـ وـاـصـلـةـ بـالـبـرـيدـ العـادـيـ

إـلـىـ أيـ مـكـانـ فـيـ الـعـالـمـ ، وـ تـعـتـبـرـ هـذـهـ الأـسـعـارـ سـارـيـةـ حـتـىـ ٣١ـ دـيـسـمـبـرـ ١٩٧٩ـ .
 وـإـنـ هـذـهـ الطـبـعةـ سـتـوزـعـ فـيـ كـافـةـ أـرـجـاءـ الـعـالـمـ وـ مـتـخـصـصـ تـخـفيـضـاتـ سـعـبـ
 الـرـوزـغـنـ فـيـ بـلـادـ ماـ وـ رـاءـ الـبـحـارـ .

إـذـاـ أـرـدـتـ حـصـولـ عـلـىـ مـزـيدـ مـنـ الـمـعـلـومـاتـ يـرجـىـ الـكـتـابـةـ إـلـىـ الـعـوـانـ التـالـيـ

مـؤـسـسـةـ قـاضـيـ لـلـشـرـ ١٥٢٩ـ شـمـالـ شـارـعـ وـيـاـيـرـ

شـكـافـرـ ، الـيـنـيـ ٦٠٦١ـ - هـاتـفـ : ١٢٤١ـ - ٦٤٢ـ (٣١٢ـ)

قامـ بـالـطـبـعـ وـالـشـرـبـ جـلـ أحدـ الـلـدـوـيـ فـيـ مـطـبـخـ نـدوـةـ العـلـمـ لـكـفـرـ - دـيـسـمـبـرـ ١٤٠٠ـ : سـيدـ الـأـطـمـيـ

أخي القاريء

كم كانت المفاجأة أليمة حينها حللت إلبك موجات الأثير ليلة ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م بـ التدخل السوفيatic في أفغانستان ، و اقتحام القوات السوفيات في العاصمة الأفغانية و المدن الرئيسية ، و الهجوم المفاجئ على جبهات المجاهدين و تجمعات المسلمين الثائرين ضد الحكم الشيوعي ، و ضربهم بالقناص والدبابات ، و تدمير استراتيجيةهم و مراكز جيادهم .

كل ذلك لمجرد أن المسلم الأفغاني يريد أن يعيش في بلده حراً كريماً يريد أن يعود إلى ماضيه الذي عاشه آباءه الأبطال ، و إلى تاريخه الذي صنعه رجاله الغر الميامين ، سلط عليه الحكم الأجنبي فرفضه ، و فرضت عليه الشيوعية قثار عليها و أدى أن يتجرع مرارتها .

و أى ذنب على شعب يرفض هذا الاستعمار البغيض الذي يتحكم في رقاب الناس ، و يذيقهم ألواناً وألواناً من العنف والارهاب والظلم والارهاق .

و أى ذنب على شعب مؤمن أن ينكر المنكر ، و يبغض الجور ، و يكره أن يبعث الظالم بكرامته و يعيث المجرم في أرضه .

و لكل شعب حق في طرد عدوه من بلده ، و تطهير أرضه من كل تدخل عسكري ، له كل الحق في الدفاع عن كرامته و مقدساته .

و قد استنكر العالم هذا العدوان السافر ، بل هذه الواقعة المجرمة التي هي شعار الشيوعية و فاسقتها ، فهل بعد أفغانستان من مبرر للثقة بمواعيد الشيوعيين ، فضلاً عن ربط المصير بهم ، كما فعلت و تفعل بعض دول المسلمين .

سعيد الأعظمي

في هذا العدد

أخي القاريء

دعوهَا فانها منتهٌ وحاربوها فانها رذيلة

سعيد الأعظمي

التوجه الإسلامي

ابراهيم عليه السلام إمام النوع الشرى

رسالة سيرة النبي الأمين

البعث الإسلامي و تحررنا من نير العبودية

الأستاذ عبد الماجد الدرري بادي

سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوى

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جليلة

الدعوة الإسلامية

الأصول المعتبرة في إثبات أحكام الإسلام و تعاليمه

مراحل الدعوة إلى الحق

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحي

دراسات وأبحاث

الخلافة شرطها و تزاماتها

الحقيقة المجردة عن عبد الملاك

المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان الأساسية

الأستاذ خالد سالم

الأستاذ محمد مصطفى رمضان

الأستاذ صلاح الدين

المراجعة

المرأة قبل الإسلام وبعده

العالم الإسلامي

صور وأوضاع : العمل الإسلامي في مواجهة خطر

عدو في ثياب صدق

واضح رشيد الندوى

الأستاذ محمد الحسني رحمة الله

التحرير

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحانفي

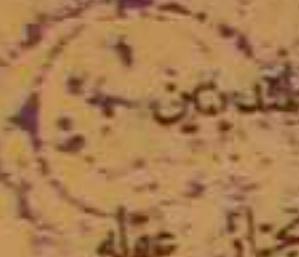
الأستاذ محمد الحسني رحمة الله

الأستاذ محمد الحسني رحمة الله

التحرير

أبعاد اجتماعية و ثقافية

أبعاد اجتماعية و ثقافية

إنها أثبتت فلسفتها قبل كل شيء على رفض الإله و القوة الخارقة التي تفوق الفطرة ، و تعتبرها شيئاً لا يعود الأوهام ، تلك التي سبّطت على المُقدّسين  ونؤمن بهذه الفلسفة بأن الدين إذا وجد في العهد البدائي حينما كان الإنسان يختار عقله مرحلة النضج والاكتمال ، فلم يوجد إلا كشيء يعتمد عليه إنسان عمد البداوة والوحشية لمواجهة العدو من سباع الغابات والأوبئة مثلاً ، فكان الدين هو الشيء الخيالي الذي اخترعه المتواحشون بشكل إله خيالي مجرد مواجهة العدو باسم ذلك الإله ، متخدّين في صفات واحد ، أما الآن فلم يعد الإنسان بعدما تم له إخضاع الطبيعة لأغراضه ، واتصرّ في مجال العلوم والتكنولوجيا فأصبح بذلك في غنى نام عن الدين و عقائده .

و من هناك بدأ مؤسسو الشيوعية و زعاؤها يرسلون صيحاتهم واحدة تلو الأخرى ضد الدين و الإله :

- الدين أفيون الشعوب .
- الدين أكبر عائق في سهل النهضة الحضارية و التقدم المادي .
- الدين يجب أن يكون هدفاً لكل انتقاد لاذع صريح .
- الخوف هو الذي أوجد الإله .

● تعاليم الدين صدى لنظام الاستعباد في القرون المظلمة ، وتأكيد للتمييز الطبقي ، الكادحون من العمال والفقراء لتوفير الراحة والمتاعة و إزاجة اللذة والرخاء لغيرهم ، و يعتقدون أن المظلوم حينما يواجه الإخفاق و الفشل في كفاحه ضد الظلم تمثل أمامه العقبة الدينية فتلقنه بالصبر والقناعة و تسليه بـ «أعبد النعيم واللذة في الجنة ، و أما طبقة الأثرياء و الارستقراطيين التي تتعمّل على حساب غيرها فلتلقنها العقيدة

دعوها فإنها منتنة ،
و حاربوها فإنها وذلة

هل يجتمع الإيمان و الشيوعية في قلب واحد ؟
كلا ! .. كلا لا يجتمع الإيمان و الكفر في قلب واحد .

ذلك لأن الإيمان حب وسلام ونور وبرهان ، و الشيوعية بغض وعداء ،
و ظلة ونفاق ، و وحشية وشقاق ، و عجباً من مسلم يحب الشيوعية كفلسفة ،
و يعتقد كحزب سياسي ، ثم ينضم إليه كعضو ، و أعجب منه من يقبل الشيوعية
و ينتمي بالرجعة ، و شعبه بالترف ، و مجتمعه بالتجمّع ، و يرى الشيوعية المنفذ
الوحيد للإنسان من أمر الذل والعبودية والظلم ، يراها سفينة نجاة للإنسان من شقاء
الرأسمالية و التفاوت الطبقي .

نجحت الشيوعية - وحجرها الأساسي هو الخداع و النفاق - في إخفاء وجهها
الكالح وراء ستار غليظ من دعايات كاذبة كساواة اقتصادية و عدالة اجتماعية ،
و وراء أسماء برافة ومصطلحات ملائمة من حدب على مصالح الطبقة الكادحة ، و محاربة
ضد اكتناز الثروة في أيدي الأثرياء و المترفين و التجار و الأقطاعيين ، و توزيع
للثروة بين الشعب بالمساواة ، وترويج للبضاعة و الحاجيات بين الجماهير من الناس ،
بهذه المعنفات والدعایات المزورة دخلت الشيوعية في المجتمعات العامة ، و في طبقات
السُّنج من الناس ، وبفلسفتها الاقتصادية و نظرتها المادية العلمية و بمعيارها العلماني
ووجدت ميدلاً إلى الطبقة المثقفة من السياسيين و الاقتصاديين ، و الصناعيين و الفنانين .

الدينية بالصدقات ، و هكذا يجد الظلم و البغي مرتقاً خصباً إلى المجتمع بدون أن يجرم أهله من الجنة و العيم ،
بهذا و أمثاله يهدى هؤلاء العبيد من حلة لواء الشبوة و لا يريدون بذلك إلا تحرير الإنسان من كل القيم الخلقية والدينية و تعریته عن المثل العليا و المقاييس الإنسانية كلها ، انظروا كيف يصرح «لين» برأيه نحو القيم الخلقية .

«إن النظام الخلقي الذي أخذ من خارج المجتمع الإنساني لا يقام له وزن ما في نظرنا ، إن النظام الخلقي عندنا تابع لدافع الصراع الطبقي » .
و هذا ماركس يقترح على أنصاره و متبعي الشبوة لكي ينشروا فكرتهم و يدسووا سموهم في العقول أن يأخذوا بالخطبة البالغة و الحكمة العميقه في سبيل كسر شوك الدين و إزالة هبته و أهميته من القلوب حتى يتم تطهير العقول من روابط الدين و علاقته .

ويشرح هذه النقطة أصحابه الذين تلوه بغایة من الإبضاح والصرامة فيقول «لين» .

«الماركسية تغير آخر للأدينه ، وهي من كبرى الحركات المعادية للدين ، إن أساس الماركسية إنما يقوم على محاربة الدين و لكنه ليست ماديه صغيره تكتفى بهذه المحاربة خسب ، بل إنها تخطى إلى الإمام بخطى واسعة و تعلن : أن الإنسانية ليست مسؤولة عن محاربة الدين وحسب ، بل يجب عليها أن تعد نفسها لهذه الحرب و تنشئ فيها صلاحية كبيرة لشن الهجوم عليه » .

ويزيد فيقول : «لا يصلح لعضوية الحزب الشبوعي الاشتراكي إلا من أعلن بصدق و إخلاص أنه ملحد و معارض للدين » .

ويأتي «إنجلس» فيقول : «الدين لا تحل محل العلاقات العائلية في الحزب الاشتراكي ، إن حزبنا الاشتراكي يتمتع بالشعور الطبقي و يسعى لحرية العمال » .

ولذلك فان حرباً كهذا لا يستطيع أن يتغافل عما أوجده المعتقدات الدينية من جهل و حماقات كثيرة » .

وقد أقيمت تحت إشراف هؤلاء الزعماء الشبوعيين جمعية « لا إله » (God Less) (God Less) عام ١٩٢٢م التي استهدفت الغاية التالية :

« الثورة على الملوك السماوية وإنزالها من عروشها كما فعلنا مع الملوك الأرضية في هذا العالم » .

ولكن هؤلاء الثوار على الدين بالرغم من تجاهر مفهوم و كراهيتهم وعدائهم السافر و حقدتهم البالغ للدين قد يوصون عبيدهم و أنبيائهم بابداء كراهيتهم للدين والأخذ بالحكمة في نشر ظلامهم الموبوءة يقول «لين» نفسه :

« إننا لا نحبذ بمحاهرة الاخاد و إعلانه بطريق واضح جداً » .

و كذلك كان «إنجلس» لا يكره ضغط الحكومة جهراً و العنف السياسي و روابط الدين و علاقتها .

ويشرح هذه النقطة أصحابه الذين تلوه بغایة من الإبضاح والصرامة فيقول «لين» .

« هذه الحقائق القليلة التي سردناها تكفي للاطلاع على نواباً الشبوة ومطامعها التي طالما تختفي وراء ستار الاصلاح الاقتصادي و الاجتماعي ، و إيجاد المساواة مع القضاء على التفاوت الطبقي ، بين أفراد المجتمع ، بين العمال والاقطاعيين ، وبين الفقراء و الرأساليين » .

و قد يدو في بادى الرأى أن الشبوة تهدف إلى صالح الإنسان و رفع مستوى في كل مجال ، و لكن ذلك خداع ليس بعده خداع ، و أجدر بال المسلمين رغم الشعوب الأخرى أن يحذرها منها و يتفطنوا لمكرها ، و ما تريده الاشتراكي ، إن حزبنا الاشتراكي يتمتع بالشعور الطبقي و يسعى لحرية العمال .

دعوها فانها منتهى ا و حاربوا

من كل فضيلة و خلق ، و يتحول إلى سبع ضار و حيوان عنيف ، و إن كان يرتدي لباس الانسان ، و يتقنع بقناع البشر ، ولكن الواقع الذي لا مراء فيه أنه يكون أضرى من الوحش و السباع .

و قد جرب كثير من الدول والشعوب ، الشيوعية فوجدها أخفق فاسفة وأسخن نظرية حتى في مجال المساواة الاقتصادية و العدالة الاجتماعية ، ويقال إنها لم تصدق في أى دعوى من دعاويها و في أى مصلحة من مصالحها التي تزعمها ، وأخفقت فيها أى إخفاق ، حتى في مهدها الذي نشأت فيه و ترعرعت ، و في مركزها الذي نمت فيه و شبّت .

و أما مثلاً كثيرة لما قامت به دولة الشيوعية الام من ثورات دموية و إجراءات وحشية في كثير من الدول ، في عدن و بورما ، و كيوبا و كمبوديا و في العراق و سوريا ، و في مصر ولبنان ، أما تدخلها العسكري في أفغانستان ، بعد ثورات دموية وقتل و تشريد ، و اعتقالات و اغتيالات ، فواقع شاهده العالم كله بعين رأسه ، و صدق الناس بالعيان ما كانوا يسمونه بالأذان .

فهل بعد ذلك كله يبق ما يبرر لنا موقف الشيوعية وما يدعونا إلى الانخداع باللافتات الجميلة ، و المصطلحات المزورة ، و المحتافات الخلابة ، أم يتطلب منا أن نحاربها كرذيلة ، و نطاردها كعدو خسيس ، و نقاومها كسرطان خبيث .
• يريدون بطفعوا نور الله بأفواهم و الله متم نوره و لو كره الكافرون .

صحيفة البعث في النور والبر

الترجمة الإسلامي

[و لا تسألون عما كانوا يعملون] .

لقد أصبحت هذه الفكرة شيئاً عادياً لا يسترعى انتباها ، بفضل الاسلام . غير أنها كانت شيئاً عظيماً يبعث الاستغراب ، حينما نادي بها القرآن ، حفأً إن فكرة « المسئولية الفردية » هي من مزايا الاسلام وحده ، أما اليهود - فضلاً عن المشركين - و هم أهل التوحيد ، قد بلغوا غاية الاسراف والسفاهة ، حتى اعتقادوا أنه لاحاجة إلى « العمل الشخصي » ، فان الانتماء - نسبياً - إلى أولياء الله الصالحين كاف للنجاة ، فكان اليهود اختلقوا - مقابل عقيدة « المعصية المتوارثة » ، لدى المسيحية التي تعني أن الخطأ الذي صدر من البشر آدم لا يزال ينتقل إلى أحجالة - عقيدة « النجاة المتوارثة » ، و اعتقادوا « أن الله سبحانه و تعالى - بفضل اسمه الظاهر وبفضل ألطافه - دائمًا ينقل حسنات الآباء إلى الأبناء » ، (١) و في « العهد القديم » ، المعاصر آية تقول :

« إني أنا رب إلهك إله شور أجazi باسم الآباء على الأبناء إلى ثلاثة و أربعة أحكام للذين يبغضوني » ، (٢) .

و جعلوا من الحبة قبة ، فاعتقدوا أن كل جبل ينال الجزاء من جانب الأسلاف و الآخرين معًا ، و لا يهم أولاد إبراهيم ، فالمهم لا خوف عليهم . « فبعض يثاب على أعمال الأسلاف ، وبعض على أعمال الأخلاق » ، (٣) . « قد تعلقت كل آمال اليهود على قداسة الأسلاف ، يعني على أنهم أولاد إبراهيم » ، (٤) .

(١) راجع دائرة المعارف اليهودية ١٢ / ٤٤٧

(٢) الاستثناء ٥ :

(٣) دائرة المعارف اليهودية ٦٠ / ٦٠

(٤) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ، ط ١١ .

إبراهيم عليه السلام إمام النوع البشري

- ٢ -

بقلم : الكاتب الاسلامي والمفسر الشهير المرحوم عبد الماجد الدریابادی

وصية يعقوب لبنيه بالتوحيد
في آخر أيام حياته

[أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت] .

« العهد القديم » ، المعاصر ساكت عن ذكر هذه القضية الهامة ، إلا أن دائرة المعارف اليهودية قد ساقتنا لها الكلمة التالية لبعض أ Hibar اليهود :

« أوصى إبراهيم بنيه قبل وفاته بهذه الأمور الثلاثة :

١- أن لا يعبدوا الأصنام ، ٢- أن لا يستخفوا بالله ٣- أن لا يمسن كافر جنازتي » ، (١) .

و هناك بجموعات روايات وحكايات يهودية ، تعرف بذلك بصرامة أكبر .

« قال يعقوب لبنيه : أخشى أن يكون منكم من يفكر في عبادة الأصنام ، فقال : أبناؤه الاثنا عشر : الا يا إسرائيل أبانا ، إن إلهنا هو الإله الأزلي . ونحن نؤمن به واحد من إعماق قلوبنا كما نؤمن أنت بالله واحد من أعماق قلبك (٢) ». المعصية لا توارث :

(١) دائرة المعارف اليهودية ٥ / ١ .

(٢) قصص اليهود لكتنز برك .

روية أى بلد تعتبر ؟ قد دفع رجالات الفقه و العلم في الاجابة على هذا السؤال ، و شفوا الشعرا ، و أطلاوا الكلام حولها ، بيد أن خلاصة الاجابة ، و الكلمة الصريحة فيها ، أن العبرة في مدينة أو قرية هي برؤيتها أو رؤية المدن و القرى التي تجاورها .

أما استيصال خبر رؤية الملال بالتبافون ، و اللامكي ، أو الراديو و ما إليه من بعد آلاف الأميال ، و العبرة برؤية كلّكنا في يومياني - وينها مسافة ١٩٠٠ ميل - مثلا ، يتنافي مع روح الشريعة الإسلامية تماماً فاختلاف المطالع شئ مشاهد لا يمكن استنكاره ، قال القرطبي :

و اختلفوا إذا أخبر مخبر عن رؤية بلد ، فلا يخلو أنه يقرب أو يبعد فإن قرب فالحكم واحد ، وإن بعد فلأهل كل بلد رؤيتهم ، روى هذا عن عكرمة و القاسم ، و مسلم ، و روى عن ابن عباس ، و به قال إحسان ، و إله أشار البخاري حيث بوب « لأهل كل بلد رؤيتهم » .

و جامت في تفسير القرطبي هذا رواية مختلفة على صحّح مسلم ، خلاصتها : أنه بلغت مرة رؤية الشام إلى المدينة ، و قد اختلفت رؤيتنا الشام والمدينة في (Sale) فلما وصل في تفسيره إلى هذه الآية الكريمة ، جعلته القدرة الاطهية يكتب بيعمه :

إن هذه الآية من أجل وأرفع الآيات القرآنية . . . إنها تصرح أن الإيمان بالله تعالى وصنع الخير مع النوع البشري ، هما روح الدين و جوهره الأصيل ، و الآية جمعت في وقت واحد بين لب العقائد و خلاصة الأعمال .

مناط الحكم في رؤية الملال :

[فمن شهد منكم الشهر فليصممه]

(١) راجع القرطبي .

حقيقة البر و النسوى :

و لكن البر من آمن بالله [.

لا شك أن جميع الآيات القرآنية واجبة الإيمان و العمل بها ، و عظيمة جليلة في مكانها ، إلا أن هذه الآية ، قال عنها الحديث النبوى « من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان » ، و روى عن المحققين أنهم قالوا : إن الآية من أهم الآيات في القرآن ، و هي تتضمن ١٦ حكماً من أحكام الشريعة (١) .

و قال بعض العلماء - نظراً إلى شمول أجزاء الآية و جامعيتها - إن الآية أصل الشريعة و الطريقة و مدارها ، و إن الآية تدل على أن المؤمن ليس يكفيه الاعتقاد الباطني ولا الاعتقاد الظاهري على الانفراد ، بل لابد أن يجمع بين الإيمان في القلب و بين العمل بالأحكام في الظاهر

وهذا كله ما قاله أبناء الإسلام ، أما الأجانب ، فقد مضى منهم « بابا » اسمه « وهيري » (Wherry) كان من ألد أعداء الإسلام و المسلمين ، أمضى حياته في عداوة الإسلام ، زاد بقلمه تفسيراً على ترجمة القرآن الانجليزية بقلم « سيل » (Sale) فلما وصل في تفسيره إلى هذه الآية الكريمة ، جعلته القدرة الاطهية يكتب بيعمه :

إن هذه الآية من أجل وأرفع الآيات القرآنية . . . إنها تصرح أن الإيمان بالله تعالى وصنع الخير مع النوع البشري ، هما روح الدين و جوهره الأصيل ، و الآية جمعت في وقت واحد بين لب العقائد و خلاصة الأعمال .

[فمن شهد منكم الشهر فليصممه]

(١) راجع القرطبي .

سماه باب بيان أن لكل بلد رؤيتها وأنهم إذا رأوا الحلال ببلد يثبت حكمه لما بعد عهم ، و ساق تحت الباب ، ذلك الحديث الذي أشرنا إليه وأحلاته على القرطبي ، و حكاه ابن المذذر عن عكرمة و القاسم و سالم و إسحاق ، و حكاه الترمذى ، والصحيح عند أصحابنا أن الرؤية لا تعم الناس بل تختص لمن قرب على مسافة لا تضر فيها الصلاة ، و قبل إن اتفق المطلع لزمه ، و قبل إن اتفق الآفاف ، و إلا فلا (١) .

أما القاضى ابن رشد المالكى رحمه الله فاستخرج من هذا الحديث أنه لا تعتبر في بلد إلا رؤيته ، و لا تعتبر فيه رؤية بلد آخر ، تقاربها أو تباعدـا يقول : ظاهر هذا الأمر يقتضى أن لكل بلد رؤيته قرب أو بعد (٢) .

و المذهب المشهور من المالكية أن رؤية بلد تكفي جميع البلاد ، لكن ابن عبد البر قد حكى الاجماع على خلافه ، و قال رؤية بلد في بلد يتبعـا عنه كتبـاً خراسان من أسبابـاً .

كلما قرعت آذانـا كلمة « الجاهلية » ، تمثل أمـاماً عـفـواً عـمـدـاً القرن السادس المسيحي المظلم ، الذى بعـثـ فىـهـ النـبـيـ الـأـعـظـمـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ طـلاقـةـ ، و ظـهرـتـ أولـىـ مـعـجزـاتـ تـعـالـيـهـ وـ تـرـيـتـهـ وـ تـوجـهـهـ . فـاـنـ سـمعـ كـلـةـ «ـ الجـاهـلـةـ »ـ إـلـاـ وـ تـدـمـلـ

أـمـامـ أـعـبـنـاـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ بـخـصـائـصـهـ وـ مـرـايـاـهـ ، وـ مـلـاحـمـهـ وـ قـسـامـهـ الـجـاهـلـةـ ، تـلـكـ

الـتـىـ صـورـهـاـ كـتـابـاـ فـيـ مـوـضـوـعـ السـيـرـةـ .

لكن «ـ الجـاهـلـةـ »ـ لاـ تـخـصـ بـذـلـكـ الـعـدـ ، فـكـلـ عـمـدـ عـمـدـ الـجـاهـلـةـ لـدـىـ

الـاسـلامـ إـذـاـ حـرـمـ هـدـاـيـةـ الـوـحـىـ الـاـلـهـىـ وـ نـورـ الـنـبـوـةـ ، وـ تـفـاضـىـ عـنـ تـعـالـمـ الـأـنـيـاءـ

وـ تـذـكـرـ لـهـ بـعـدـ أـنـ تـبـيـنـ لـهـ الـهـدـىـ ، أـوـ لـمـ يـحظـ بـهـ بـتـاتـاـ ، وـ لـاـ فـرـقـ فـيـ ذـلـكـ بـيـنـ

جـاهـلـةـ الـقـرـنـ السـادـسـ الـمـسـيـحـيـ الـعـالـمـيـ ، أـوـ الـقـرـونـ الـمـسـطـىـ فـيـ تـارـيخـ أـورـبـاـ ، الـتـىـ

تـعـرـفـ فـيـ الـأـغـلـبـ بـالـقـرـونـ الـمـظـالـمـ (ـ الـعـصـورـ الـمـظـالـمـ)ـ أـوـ عـمـدـ الـخـضـارـةـ وـ الـوقـ

الـزـاهـىـ فـيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ الـذـىـ بـحـثـاـزـهـ .

يـصرـحـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ أـنـ النـورـ فـردـ ، وـ مـشـكـانـهـ وـاحـدـةـ ، اللـهـ نـورـ السـيـاراتـ

وـ الـأـرـضـ ، وـ الـظـلـلـاتـ لـاـ حدـ لـهـ وـ لـاـ نـهاـيـةـ ، وـ لـوـ لـمـ يـنـجـلـ النـورـ الـاـلـهـىـ (ـ الـذـىـ

(١) فـتحـ الـبـارـىـ ، (٢) بـداـيـةـ الـمـجـهـدـ

الله و صفاته ، و كان عmadهم في ذلك الظن و التخمين ، والخرص و الترجم دون
استناد إلى توجيهه سديد ، و اشرافه مستقىعه « ما لهم به من علم ، إن هم إلا
يخرصون » ، و لا تقل فلسفتهم و إلهياتهم التي دونها حكاوهم و فلاسفتهم طرافه
و خرافه من أساطير الشرق و الاعيدهما و أعادجهما ، وقد نلمع في أقوال سocrates
و أفلاطون - دون أرسطو - و تعليمات فلسفه الأخلاق أثاره من تعاليم الأنبياء
لمعan اليراعه في الليلة المطيرة الشاهية ، مما يدل على أن تعاليم الأنبياء قد طرقـت
آذانهم في حين من الأحيان ، لكن هذا النور لم يكن من السطوع و الثبات بحيث
يمكنهم أن يعلوا عليه في دياجير الحياة ، كلما أضاء لهم مشوارـه ، و إذا أظلمـ

و ما يبعث العجب أن مصباح الهدایة الذى أوقده مبدنا المسبح عليه السلام
ظل يسطع و ينير في الشرق طوال مدة قرنين ، رغم العواصف الموجأة ، لكنه
خيا في الغرب في حضانة المعنيين به و الحارمين عليه فقد فقدت تعاليم المسبح
عليه السلام أصلها في الغرب ، حيث حظيت المسيحية لأول مرة بالحكم والسيادة ،
و انصب تيار الوثنية و الشرك في نهر المسيحية ، و ربما لم تشق ديانة في العالم
البئرى بمعتها الجدد ، كا شقق المسيحية بامبراطور قسطنطين ، و « بولس القديس »
(القديس بولس) وبمد ما انطفأ هذا المصباح الالهى الالهى ، تق رجال الكنيسة
يخدعون العالم المسيحي الغر المفتون بحسن الظن ، بصابح صناعية من عند أنفسهم ،
و حارلوا أن يؤكدوا للناس أنهم لا يزالون يحتفظون بالنور الكريم الوهاج الذي
جاء به المسيح عليه السلام من عند ربها ، و الواقع أنه كان قد توارى في الظلمات
المتراءكة المترامية منذ قرون ، و ابتلعته الوثنية الرومية المتطرفة :
« مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم ،

البعث الإسلامي
يأتي عن طريق الأنبياء و الرسل و حدهم) تخيم على العالم من الظلمات المتراءكة
ما لا يحصى ولا يقاس ، ولا ظلمت كل مرحلة من مراحل الحياة ، وعمت الظلمة
طامة ، و تآمت و تكاثفت .

فَالَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لَهُ نُورًا
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاها ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهَ لَهُ نُورًا
كَظْلَمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَبِحِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ سَحَابٍ ، ظَلَمَاتٍ

وكلما يذكر القرآن الكريم النور والظلمة متقارنين ، يذكر النور فرداً والظلمة جماعاً ، مما يدل على أن الظلمة أنواع وأشكال ، وأما النور فهو واحد ، ولولم يسعط هذا النور الالهي لما استطاع نور صناعي أن يشق هذه الظلامات الحاكمة الماطبة ، ولكن العالم البشري كقبرة مظلمة متراجمة الأطراف ، ليس فيها منفذ نور ، ولم يكن يستهضف منها أوقد المؤقدون « شرعاً صناعية » ذات أضواء قوية قاهرة ، ساطعة باهرة ،

«أو من كان ميتاً فاحيّناه ، وجعلنا له نوراً يعشى به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ، ليس بخارج منها (٢)»

يبدو كأن أرض الغرب - التي لا تعلم منها الشمس وإنما تغرب فيها -

فَلِمَا حَظِيَتْ بِنُورِ النُّبُوَّةِ ، وَحَاوَلَ أَهْلَهَا أَنْ يَسْتَعْبِدُوهُمْ بِعَنْهُ النُّورُ الْبَشَرِيُّ الصَّنَاعِيُّ ..

إن عهد اليونان و الروم الذهبي هو العهد الزاهر الرائع جداً في التاريخ البشري ،

بالنسبة إلى ازدهار العلوم و الفنون البشرية ، لكنه أحلك العهد - كأحلك العهد

اجاهيه - بالنسبة إلى تعاليم الأنبياء ، و قد خبطوا خبط عشواء فيما يتعلّق بذات

٤٠ : النور (١)

الأنعام : (٢)

و زركم في ظلبات لا يصرون (١) ، و على الرغم من ذلك كله يجب الاعتراف بأن الغرب ظل يسعد بالاعتقاد بالله ، والإيمان بالآخرة ، بفضل المسيحية ، و ذلك لأن الدين السماوي مهما تغير على الغرب أمره ، فلا يجد من دونهم موئلا ، و هذه الأصنام أشكال وألوان ، و يتغلل في أحشائهم ، بحث لا يمكن نزعه من القلوب نزعا تماما . . هبت في القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر المسيحي في أوروبا ريح العقلانية بل المادية العاتية ، التي وضعت الغرب على طريق المادية الجائحة في صورة جوفاء ، وعلى طريقة عباد ، و درج عليه الغرب و قطع أشواطا بعيدة ، فعاد أسلوبه للحجارة التفكير لا يقبل الله والآخرة ، إن الغرب كله لم يعلن كفره بالله أو رفضه آخر واجبات و ضروريات ، التزمها الإنسان بنفسه ، و هذه الأصنام بهجومها أسرتني ، و أرغمناه على عبادتها ، و أرغمتهم على عبادة ، تجعل عبادة الله مقابلها أيسر من قبل لصنم أو إله ، وهناك صراع ضريبي بين أغراض هؤلاء الأرباب من دون طبولة أنها تدين بالمسيحية ، لكنها لم تخالص لها ، و لم تحرس عليها ، و لم تبذل لها حبها و ودها ، كما صنعت هذه « الديانة » (المادية) وكنائس هذه « الديانة » الجديدة و معابدها ، المصانع و مراكز الصناعة و التجارة ، و المنتزهات — غنية ليل نهار ، آهلة في كل حين و آن — و رجال هذه الديانة هم أصحاب رؤوس الأموال و الصناع ، و المليونيون — ينظر إليهم نظرة الإجلال و الأكبار ، بل يقدسون و يعبدون ، و بالعكس من ذلك أصبحت المسيحية في الغرب ظلا شاحبا .

و قد ظهر - ولا يزال - في العرب جميع ما هو نتيجة منطقية لهذا القناع للذات وهذا الأسلوب من الحياة ، وأولى هذه النتائج الوخيمة أن الإنسان الغربي

(١) البقرة : ١ .

تنكر للإله الأحد الصمد ، و عاد يتضرع إلى مئات الآلهة ، قد رفع جبهته من عنبة واحدة - كان فيها له غنى عن كل العقبات - و بدأ يطرح على كل عنبة ، وتلك هي عاقبة محتومة لكل من تنكر للإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وهؤلاء الأرباب من دون الله . قد تسلطوا على الغرب في عدد لا يحصيه إلا الله ، وغلبوا على الغرب أمره ، فلا يوجد من دونهم موئلا ، و هذه الأصنام أشكال وألوان ، تتمثل حيناً في الزعيم السياسي ، و حيناً آخر في إله الاقتصاد ، و في مكان هي التزامات و قيود ، و مستوى الحياة التي افترضها الإنسان ، و تبناها ، وفي مكان هي آخر واجبات و ضروريات ، التزمها الإنسان بنفسه ، و هذه الأصنام بهجومها أسرتني ، و أرغمناه على عبادتها ، و أرغمتهم على عبادة ، تجعل عبادة الله مقابلها أيسر من العجماءات و الآلات الصماء ، و تضطرهم إلى تضحيات هائلة ما قام بها أحد مع العجماءات و الآلات الصماء ، و تضطرهم إلى تضحيات هائلة ما قام بها أحد من قبل لصنم أو إله ، وهناك صراع ضريبي بين أغراض هؤلاء الأرباب من دون الله ، و مطامعهم و أهوائهم ، جعل العالم يقوم و يقعد ، و من بين هؤلاء الأصنام الكثيرة المتنوعة صنم « الوطنية » الذي يتطلب لنفسه قرابة النفوس البشرية و الدماء الإنسانية ، و من بينها صنم « المعدة » الذي عَكَفَ على عبادته إنسان القرن العشرين ، و لا يرحمها ، و لا يتحول عنها ، لكنه لا يكاد يرضي عنه بأي كمية من التضحيه و العبادة ، و قد أجاد المستر « آيلورلاج » حيث قال قبل مدة في محاضرته :

« أصبحت بساطة الحياة حلمًا من الأحلام ، و لا يهم أحدًا غرض كريم ، و فكرة سامية ، و أصبح كل من الناس يدور حول مصنعه أو مكتبه ليل نهار كثور الطاحون ، و يخدمه خدمة العبيد ، و أدى اختراع المراكب السريعة إلى أن

أصح إنسان القرن العشرين دوامة لا هدوء لها ولا قرار .

وأدى تقصير الإنسان في جنب الله إلى أنه وقع فريسة التناسي للذات ، وقد صرَّح القرآن أن ذلك عاقبة حكومة ملئ نسي الله ، و طوى عنه كشحاً : « و لا تكونوا كالذين نسوا الله فإنهم أنفسهم » (١) .

حقاً أن إنسان القرن العشرين هو زوج كامل للتناسي للذات قد نسي حقيقته ، و خصائصه الإنسانية ، و غرضه من هذه الحياة ، و مقصد़ه من وجوده ، عاد يعيش عيشة البهائم والمجادات ، و صار ماكينة تصوغ الدولارات التي لا تستطيع هي أن تتتفع بها في قليل أو كثير ، وبلغ إلى أن الراحة البدنية ، و الطماينة القلبية التي قد تكون بعض قيمة هذه الجهد و الجهد ، أصبح لا ينالها في حياته ، ولا يفكر فيها ولا يتبعها ، وقد صدق البروفيسور « جود » حينما قال :

« يقول د. زرائيلي أن المجتمع في عصره يعتقد أن الحضارة هي الراحة أما نحن فنعتقد أن الحضارة عبارة عن السرعة ، فالسرعة هي إله الشباب العصري ، وأنه يتحقق على نصبه بالهدوء و الراحة و السلام و العطف على الآخرين من غير رحمة .

وقد تغيرت وظيفة هذا الإنسان بفعل التناسي للذات ، و الحكم إهماله لحقيقة نفسه ، فنقدم أشواطاً بعيدة في مجال الرق في غير دائرة الطبيعة ، و لم يخط خطوة في دائرة الإنسانية ، و لا تزال خصائصه و أخلاقه و صفاتُه الإنسانية في انحطاط ، و إذا رحت تحمل الرق الذي أحرزه الإنسان العصري ، فسوف لا تجد إلا أنه عبارة عن بعض فضائل السباع الضوارى ، و الطيور ،

(١) الحشر : ١٩

و الأسماك ، و قد اعترف الكتاب الأوربيون بهذه الحقائق ، و قد جاء الكثيرون من شهادتهم و اعترافاتهم في كتابنا « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » . و كيف يرجى من الغرب أن يتضرع إلى الله ، و يلتجأ إلى كنهه ، ويطرح على عتبته ، و قد بلغ إلى هذا الحد من التناسي للذات ، إنه مصدق صحيح لما قاله الفيلسوف و الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال في بيته الفارسي : « إذا نسبت ذاتك و تذكرت لنفسك ، فلماذا تبحث عن حب لك ، عارف بك ، إذا لم تعرف على الإنسان و حقائقه ، فأني لك أن توصل إلى الله خالق الإنسان و فاطر الكون » . أما نسيان الغرب الآخرة ، فأولى تناقضه الطبيعية أنه فتن بالمدية ، و أمعن إلى الحياة الدنيا ، و أخلد إليها ، ونشأ في قلبه الحرص الجنون الجامح على التفتع بلذائف الحياة ، و أصبح كل ذلك غاية عليا ، ومقصداً اسمي ، وهدفاً أسمى في حياته فتساءع اليوم من كل جوانب الغرب نداء قوياً عالياً إلى الحصول على الخنز ولقمة العيش ، و الاهتمام بالمعدة ، و التلذذ بالحياة الدنيا و اللوع بمظاهرها الجوفاء و التسلك بأسبابها ، و الحصول على وسائلها ، و لا يصرف فرصة حياته إلا في التناقض في إحرار قصب السبق في هذا المجال ، و قد جعلت هذه المسابقة و التناقض الحياة في الغرب مضمار الرهان الذي لا نهاية له ، فهم في سكرة من غير رحمة .

وقد تغيرت وظيفة هذا الإنسان بفعل التناسي للذات ، و كل يتعلّم إلى الحياة الدنيا ، لديهم منها عليل لا يشقى ، و غليل لا يروى ، و كل يتعلّم إلى الجديد المزيد ، ويردد « هل من مزيد » ، وتجدد كل يوم ضروريات الحياة وتتنوع وتتكاثر وسائل إشباع متطلبات الحياة و تكشف ، وقد ولد كل ذلك مشكلات مستعصية ، و قضايا معقدة ، و قد أمدتها و زاد في حدتها و شدتُها ، التناقض التجاري ، و لا يزال مستوى الحياة يترفع مع الأيام ، وكل يرى الغاية بعيدة ، و المسافة شاسعة ، فأصبحت الحياة قافلة متبللة فقدت هدوءها وطمأنيتها من أجل انتصار

الممة كلها إلى اتخاذ الوسائل للحصول على هذه الأمور ، وأضحي الإنسان الأوروبي في عذاب من الحرص والطمع والجشع لا ينتهي ، ورهبنا للجهاد والسعى للحياة الدنيا الذي لا يكاد يقف عند حد ، وأصبح الصبر والقناعة - اللذان هما أكسيز بضم على القلب طمأنينة و سكينة - كالعنة التي يسمع عنها الإنسان ولا يراها .

و هذا الحرص على المتع بالحياة الدنيا - الذي رأه نحن المسلمين جنونا و هو ما - هو كل السعادة والنجاج ، و تمام الحظ لدى المنكري الآخرة ، وذلك أمر طبيعي ، لأن الذي أنكر الآخرة ، و أخلد إلى هواه ، و اطمأن إلى الحياة الدنيا ، مالذي يمنعه من المتع بها والفوز بأكبر حظ من اللذة . وإشاع كل نسمة و نليلة كل حاجة ، و لماذا يقصر فيما يمكنه من التنعم و المتع و المرح و الطرف و من أن يشهد اللذات و يبادرها بما ملكته يداه :

«والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مشوى لهم» (١) .
«ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلهم الأمل ، فسوف يعلمون» (٢) .

و النتيجة الثانية المشوهة التي تترتب على إنكار الآخرة ، هي أن هذه الحياة الدنيا و مطامعها ، و أمتها و زخارفها ، و الوسائل التي تسعف الإنسان فيه ، تزيل في القلوب ، و تتجمل في الأعين ، و تتحسن لدى العقول :

«إن الذين لا يؤمنون بالأخرة ، زينا لهم أعمالهم فهم يعمدون» (٣) .
«قل هل نبيكم بالأخرتين أعمالا ، الذين ضل معهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بأيات ربهم و لقاءه غلط

(١) محمد : ١٢ (٢) الحجر : ٣

(٣) النمل : ٤ (٤) السكمف : ١٠٣ - ١٠٤

و من نتيجة ذلك ، أن الحياة أصبحت تتميز باللهو و اللعب ، و بدأت تفقد عناصر الجد و الحقيقة ، وعادت تشعلها وسائل اللهو والطرب والتسلية والسرور ، و لا يغير في وضعهم هذا تغييرًا ما ، أخطر الساعات المصيبة ، و لا يجد من غلوائهم أدهى الأوقات و أمرها :

«وذر الذين اخذوا دينهم لعباً و لهوآ ، و غرتهم الحياة الدنيا» (١) ،
و من نتيجته ، أنهم لا يعالون الحوادث و الواقع إلا بالعلل المادية الظاهرة المحسوسة المشهودة ، و لا يتوصلون إلى الأسباب الحقيقة ، و لا يدركون حقيقة الأمر ، و لا يمسون صفهم الواقع ، فلا يقع خلل في إيمانهم في وسائل التنعم و التسلية و اللهو ، في أدق الساعات و أحراجها ، و يعالون الحوادث بما يشاؤن ، و يسترسلون إلى العمل الجوفاء التي يفترضونها ، و لا يقع تغير ما في موقفهم و أسلوب حياتهم :

«وأقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالأساء والضراء لعلهم يتضرعون ،
فلولا إذ جاءهم بأمسنا يتضرعوا ، و لكن قست قلوبهم ، و زين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون» (٤) .

و من خصائص إنكار الآخرة و جزائها ، العلو والاستكبار ، فنكر الآخرة لا يمنعه شيء من الأنانية و التكبر و الخباء ، لأن الذي لا يؤمن بقوة فوق قوته و بحياة بعد هذه الحياة ، و يوم يحاسب فيه العبد على كل صغيرة وكبيرة أنهاها في الحياة الدنيا ، لا يحول بينه وبين أن يكون فرماً جامحاً جله على غاريه ، و إنساناً سادراً في غلوائه ، يصنع ما يشاء ، و يسير على الآهوان ، و يركب العيباء ، و من ثم قد شفع القرآن الكريم في أكثر مواضعه ذكر إنكار الآخرة

(١) الأنعام : ٧٠ (٢) الأنعام : ٤٢ - ٤٣

الدكتور شارلس اندرسون اسكات في مقال له في دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الرابعة عشرة ج ١٣ ، ص ١٧١٠ :

« ينفي أن يتنازل الإنسان عن حماولة وضع كتاب في سيرة المسيح بكل صراحة فإنه لا وجود للأدلة والمعلومات التي تساعد على تحقيق هذا الفرض ، والأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوماً ،

و على ذلك فلو أراد الغرب أن يهتمي هدى المسيح عليه السلام ، وأن يجعل أقواله و أفعاله و تعاليمه و ارشاداته ، منارة نور في طريق الحياة ، لواجهته صعوبات عملية ، و لم يكن عند قادة المسيحية رصيد موثوق به من التراث الديني يستندون إليه في قيادة أممها بأسرها ، و توجيهها ، و لا كانوا يحملون من الألمنية و الفراسة الدينية ، و الحكمة الربانية ما يستطيعون به أن يحصروا الأمم الأوروبية الفتية المتوجهة في نطاق الدين مع التقدم الديني ، و الرقي المادي . فكانت نتيجة ذلك أن الأمم المسيحية تحررت - في حياتها العملية - من قيادة المسيح عليه السلام و مراقبة الكنيسة ، و حطمت كل الحدود و القبود التي كانت تمنعها من الانطلاق بحرية ، وبدأت تعيش الحياة كأنها ليست من أممته نبي . و ذلك لأنه لم تؤثر تعاليم المسيح الساذجة في عقولها و قلوبها تأثيراً قوياً عميقاً . و لم تتفاعل هي الأخرى معها تفاعلاً مطلوباً ، و لم تحظ بالتربيـة الخلقـية ، و التزكـة العـقـلـية و النـفـسـية ، التي يتلقـاها أتـبـاعـ الـأـنـيـاءـ وـ الرـسـلـ ، فـنشـاءـ منـ ذـكـ لـأـنـاـ وـ فـرـتـ الوـسـائـلـ أـشـكـالـاـ وـ الـوـانـاـ الـأـمـلـ . فـكـانـ شـيـئـاـ يـغـيرـ بـجـرـدـةـ عـنـ عـاطـفـةـ الصـلـاحـ . وـ زـرـعـةـ الـخـيـرـ وـ الرـشـدـ ، لـأـنـاـ لـأـتـائـ وـ لـكـنـهاـ بـقـيـتـ بـجـرـدـةـ عـنـ عـاطـفـةـ الصـلـاحـ . وـ زـرـعـةـ الـخـيـرـ وـ الرـشـدـ ، لـأـنـاـ لـأـتـائـ إـلـاـ عـنـ طـرـيـقـ تـعـالـيمـ الـأـنـيـاءـ وـ تـرـيـثـهمـ وـ إـصـلـاحـهـمـ ، وـ لـأـتـولـهـاـ الـعـلـومـ وـ الـاخـتـرـاعـاتـ وـ الـاـكـتـشـافـاتـ ، فـعـادـتـ هـذـهـ الـوـسـائـلـ وـ الـآـلـاتـ الـبـرـيـةـ . إـلـىـ كـانـ لـهـ أـنـ تـكـونـ الـمـسـيـحـ عـلـىـ السـلـامـ ، وـ هـىـ نـبـذـاتـ مـتـبـعـثـرـةـ لـاـ تـعـطـىـ صـورـةـ وـاضـحةـ لـلـنـبـىـ الـمـبـعـوثـ منـ اللهـ ، فـلـاـ تـمـكـنـ الـأـنـسـانـ مـنـ الـاقـتـداءـ ، وـ لـاـ تـيـسـرـ لـهـ الـاتـسـاءـ . يـقـولـ القـسـ الـفـاضـلـ

بـذـكـرـ النـكـبـ ، فـكـلـاـنـهاـ يـلـازـمـ أـحـدـهـاـ الـآـخـرـ :

• فـالـذـينـ لـاـ يـؤـمـنـ بـالـآـخـرـ قـلـوبـهـمـ مـنـكـرـةـ وـ هـمـ مـسـتـكـبـرـونـ (١)ـ ،

وـ جـاءـ فـيـ مـعـرـضـ الـحـدـيـثـ عـنـ فـرـعـوـنـ وـ جـنـوـدـهـ :

• وـ اـسـتـكـبـرـ هـوـ وـ جـنـوـدـهـ فـيـ الـأـرـضـ بـغـيـرـ الـحـقـ ، وـ ظـنـواـ أـنـهـمـ إـلـيـاـ

لـاـ يـرـجـعـونـ (٢)ـ ،

وـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـمـةـ ، الـمـسـكـرـةـ لـلـآـخـرـةـ ، الـمـؤـمـنـةـ بـالـمـادـيـةـ ، يـكـونـ بـطـشـهـاـ شـدـيدـاـ

وـ ضـرـبـهـاـ مـوجـعاـ إـلـيـاـ ، وـ فـتـحـهـاـ إـذـلـالـاـ لـلـعـبـادـ ، وـ تـدـمـيرـاـ وـ إـفـسـادـاـ لـلـبـلـادـ :

• وـ إـذـاـ بـطـشـمـ بـطـشـمـ جـبـارـينـ (٣)ـ • إـنـ الـمـلـوـكـ إـذـاـ دـخـلـواـ فـرـيـةـ أـفـسـدـوـهـاـ

وـ جـلـواـ أـعـزـةـ أـهـلـهـ أـذـلـةـ ، وـ كـذـلـكـ يـفـعـلـونـ (٤)ـ ،

وـ كـذـلـكـ بـقـيـ الغـرـبـ مـحـرـومـاـ مـنـ الـإـيمـانـ بـالـرـسـالـةـ وـ الـبـوـةـ ، وـ قـدـ آـمـنـ بـالـمـسـيـحـ

عـلـىـ السـلـامـ إـبـاـنـهـ ، وـ لـكـنـهـ لـمـ يـؤـمـنـ بـهـ . فـيـ الـوـاقـعـ الـعـمـلـ - رـسـوـلـاـ مـطـاعـاـ ،

وـ هـادـيـاـ فـيـ الـحـيـاةـ ، وـ قـانـدـاـ لـسـفـيـنةـ النـجـاـ ، كـانـ الـأـمـرـ الـأـوـلـ شـيـئـاـ اـعـتـقـادـيـاـ نـظـرـيـاـ ،

لـاـ يـؤـثـرـ عـلـىـ الـحـيـاةـ ، وـ لـاـ يـغـيـرـ فـيـ الـأـعـمـالـ وـ الـأـخـلـاقـ ، وـ السـلـوكـ وـ الـعـادـاتـ ،

وـ الـاسـتـضـاءـ بـسـيـرـةـ وـ حـيـاتـهـ فـيـ ظـلـمـاتـ الـحـيـاةـ ، وـ اـعـتـبـارـهـ نـمـوذـجاـ كـامـلـاـ لـلـسـلـوكـ

لـهـ ذـكـرـ مـيـسـورـاـ ، فـلـمـ يـكـنـ يـعـرـفـ إـلـاـ أـحـوـالـ خـمـسـيـنـ (٥٠)ـ يـوـمـاـ مـنـ حـيـاتـهـ

الـمـسـيـحـ عـلـىـ السـلـامـ ، وـ هـىـ نـبـذـاتـ مـتـبـعـثـرـةـ لـاـ تـعـطـىـ صـورـةـ وـاضـحةـ لـلـنـبـىـ الـمـبـعـوثـ مـنـ

الـلـهـ ، فـلـاـ تـمـكـنـ الـأـنـسـانـ مـنـ الـاقـتـداءـ ، وـ لـاـ تـيـسـرـ لـهـ الـاتـسـاءـ . يـقـولـ القـسـ الـفـاضـلـ

(١) التحلل : ٢٢ (٢) القصص : ٣٩

(٣) الشعراء : ١٣٠ (٤) النمل : ٣٤

(٢٤)

، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ،
و العافية للتعين ، (الفصل : ٨٣) .

و هذا الاستغاء عن الله ، و الاعراض عن تعاليم الانبياء ، و رفض
الآخرة ، كل ذلك أدى إلى أن الغرب بينما هو نور مستضيء حتى أصبح ليه نهاراً ،
إذا هو مظلم حالك حتى إن نهاره ليل ، و يقع في عهد الرق و النور كل ما كان
من خصائص عهد الوحشية و البربرية ، و كان كما قال الشاعر الإسلامي الكبير
المرحوم أكبر حسين الله آبادي في بيته الأردي :

سجل القلم (قلم المؤرخ) بكل أسف ودهشة أن « الظلمات » كانت صاندة
في « ضوء الكهرباء » .

وهذا الوضع المزري هو الذي اضطر وزير بريطانيا الأسبق المستر لويد جون
أن يقول لدى وضع الحرب العالمية أوزارها :

« لو بعث المسيح عليه السلام في هذه الدنيا مرة ثانية ، لما استطاع أن يعيش
مدة طويلة ، لأنَّه سيلاحظ أنَّ الإنسان لا يزال - بعد ألف عام - على حاله من
الفترة و الفساد ، و القتل و النهب ، و إراقة الدماء و الاغارة ، أما اليوم فان
جسم الإنسانية لا يزال يتقطَّر دماً بعضاً أكبر حروب التاريخ ، وخربت الأرض
حتى عمت الجماعة ، و ما عسى أن يراه سيدنا المسيح ؟ هل يرى أنَّ الإنسان
يصافح بعضاً بداعِ من الأخوة و المساواة ، أو يرى - عكس ذلك -

عكوفاً على إعداد و استعداد لحرب أكثر ضراوة و قساوة و دماراً من هذه
الحرب العالمية ، وإنفصالاً على اختراع آلات أكثر تدميراً وهداً وإبادة ، و التفكير
في أحدث أساليب التعذيب (١) » .

(١) نقل من جريدة « سج » الأردية لصاحبها المرحوم الأستاذ الكبير عبد الماجد
الدربيابادي .

البعث الإسلامي وتحررنا من نير العبودية

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جبلة

تعریف : واضح رشيد الندوی
(الحلقة الثانية)

يمختار الغرب من بين السياح و الطلبة الذين يزورون بلاده أكثرهم شفقاً
و افتئاناً بالمجتمع الغربي ، و أكثرهم كراهية مجتمعه الأصيل ، وبصطاد أمثال هؤلاء
الطلبة و السياح الذين يجدون المجتمع الغربي ، و تسحرهم تلك الحضارة ، فيندمجون
إليها سريراً ، و يختارون ثقافة العدو و يطبقوها على حياتهم الشخصية فيتكلمون بلغة
ال العدو ، و يرتدون بزي العدو ، و يقلدونه في الكلام و المعيشة و يخذلون حذوه
في سائر أعمالهم ، و يهم العدو بتربتهم و تعليمهم و تثقيفهم ، فيبهي لهم كتاباً
و جرائد ، و مناهج الدراسة ، في الكليات ، و الجامعات ، ما يزيدهم كراهية
واشمئزازاً من ثقافتهم الأصيلة ، وتكون سائر هذه المواد للدراسة التي تهأّلهم مجرفة
وموجهة إلى إحداث تطور في الطلبة ، فكرة وتصوراً معاكِساً ل المجتمع السابق ووطنيهم ،
لكي ينظروا إليها برؤية العدو ، و يقبلوا مقاييسه للخير و الشر ، و الصالح و غير
الصالح ، ثم الكتب التي توفر للطلبة و مناهج الدراسة تخلق مركب النقص في
أذهانهم ، و الشعور بالتفوق فيها ينصل بالغرب ، و خلال هذه الفترة التي تستحق
أن تعتبر فترة غسل الذهن ، و شحنه بأفكار جديدة وتصور جديد للحياة ، لا يترك
الطلبة على راحتهم ليتعلموا النظريات و القيم الغربية ، كدروس ، و إنما تفرض
هذه القيم عليهم فتصبح جزءاً من أفكارهم و معتقداتهم ، و يسمح للطلبة - بصورة
مؤقتة - بأن يحفظوا في ناحية من أذهانهم بمعتقداتهم القديمة المتصلة بالله ، والبعث

بعد الموت ، وفي الوقت نفسه يجرى تلقينهم بأن يعتبروا أنفسهم متخلفين غير منظورين غير مثقفين وغير علميين ومتوجهين رجعيين وهي تعبيرات الاهانة والاستخفاف في ذلك المجتمع ، فينبعث منهم شعور خفي بأن يجهدوا ليكونوا متورين ، وتقديميون لا يمكن ذلك بأى حال من الأحوال إلا إذا سلكوا الخط الذى يخطه لهم الغزاة التقدميون المتورون .

ينفق الدول الغازية كثيارات هائلة من الأحوال لتحويل هذه الرحلات ، وتعفير أذهان الشباب ، ويجرى ذلك في ستار المساعدة التكنولوجية ، والتدريب ، وبذلك ينقل الطلبة الطامحون إلى كليات وجامعات ، ومعاهد التدريب الأخرى الواقعة في بلاد الغزاة ، وتلقى عليهم محاضرات يعدوها الأساتذة الأجانب بدقة ورعاية كاملة لأذهانهم ثم تنظم لهم برامج لزيارة مشروعات خلخلة للإعمال الإنسانية و الصناعية من مصانع الأسمنت ، والطوب ، والسدود والقناطر الرائعة .

ويذلل العدو خلال هذه الفترة كل ما في وسعه من جلة ودهاء لمع الطلبة من أن يسألوا عن قيمة الإنسان ، ومعنى الحياة وغرضها وغايتها وما هو الموت ؟ ما هو سبب تقديس حياة الإنسان وترجيمها على الكائنات الأخرى ، وعن الدخل القومى ، وأرصدة البنوك ؟ فلا يحب العدو على مثل هذه الأسئلة التي قد يسألها الطلبة خلال فترة التربية الذهبية ، مثلا ، ما هو موقف الإنسان من أسرته ، ونظام الحكم ، وهدف الحياة وغايتها ، ويأمل المدربون بل يفضلون أن ينسى الطلبة خلال فترة التربية الذهبية ، مثل هذه الأسئلة ، و هكذا تقطع سائر الصلات القائمة بين الطلبة ، وبين القيم والمثل والأفكار التي توارثوها من ماضيهم الثقافي ، والاجتماعي ، فلا يتذكرون إلا تاريخ بلاد العدو ، ويعتبرون أبطال العدو ، بطلاتهم ، وفي الواقع يصبحون عملاء عاقلين للعدو ، فيصبح

شعورهم ، ونصرتهم ، وتعاملهم تبعاً لعدوه و تحظيطه طوعياً . وينقلبون وكلاء للعدو ، ويبذلون ما في وسعيهم لاستماله شعبهم وبالادهم إلى أن يتمجا الطريق الذى يخطه لها العدو . و إذا ساعد الحظ أحداً منهم أن يتمكن من الوصول إلى موقف قوة اقتصادية فإنه يعمل كوكيل ثقافي ويحمل مراكزه و محلاته التجارية إلى معارض الثقافة الأجنبية . و بما يحدرك بالذكر لأهميته أن العدو يستخدم سائر نفوذه وتأثيره مع البلد الذى يخضع لنفوذه . ليصل إلى موقع النفوذ و القوة كل من يعتبره العدو مثلاً عنه ، و مثلاً لأوامره . و محققاً لرغباته . و يتم ذلك في بعض الظروف . بطريق لا يتبيّنه عامة الناس . وفي بعض الأحوال يضطر العدو إلى فرض نفوذه ويستخدم العنف ووسائل التأثير ، وقد يلجأ إلى عمليات الاغتيالات بغرض إبقاء علاماته و أعوانه في مواضع الحكم و النفوذ .

يراعى العدو في إعداد مناهج الدراسة و نظام التربية في بلاده للوافدين من الخارج أن يتخرج من مدارسها رجال تتغير أذهانهم ، و تقطع صائمهم عن رؤاهم و حضارتهم ، وبلادهم كلياً ، وبالتالي يصبحون عملاء العدو ، و يخدمون مصالحه و يؤدون المهام التي تسند إليهم ، و المسؤوليات التي تلقى على عواتقهم في الجيش ، و في المدارس ، و الكليات ، و يعمل هؤلاء المتخرجون كالطابور الخامس في حالة تعرض بلادهم لغزو العدو ، فيتحولون إلى مساومين ، و وكلاء و عملاء ، وممثلين في الميدان الاقتصادي ، و تزداد مسؤولياتهم عند ما يسحب العدو جيشه و يجلو من البلاد على البلاد ، وأن يجنوا ثماره ، وقد تمكّن العدو بفضل التقدم في التكنولوجيا من الاستيلاء على البلاد بدون اللجوء إلى وسائل عسكرية ، فيتعذر الحدود السياسية

إن هناك أسباباً لانخفاق السيادة السياسية الشكلية التي أحرزتها الدول الإسلامية في آسيا و إفريقيا في إحداث أي تغير و تحول في المجال الثقافي ، وعلى العكس يشاهد أن عملية التغريب قد نالت قوة وسعة في هذه الدول بعد الاستقلال و ذلك لأن نظام التعليم الذي فرضه العدو خلال عهد الاستعمار لا يزال نافذاً و مارياً في سائر هذه الدول في الوقت الحاضر .

يتميز النظام التعليمي المتبع في آسيا و إفريقيا بأن تكوينه كان بنية إعداد متغيرين ، و تسخير العقلاه ، و منها تعلم هذه الجامعات و المدارس من علوم و ثقافات ، فأنها لا تمت إلى الثقافات المحلية ، والتقليدية بصلة ، إنما تدرس العلوم الحديثة ، والتكنولوجيا ، والاقتصاد الحديثة ، والعلوم الاجتماعية ، والطرق الحديثة لدراسة الثقافات التقليدية المحلية ، و عندما تتناول النصوص التقليدية لثقافتها بالبحث و الدراسة تتناولها بطريق مختلف عن الطريق التقليدي ، جوهرياً ، وكذلك دراسة اللغات المحلية ، فهي دراسة عصرية ، تختلف عن طبيعة تلك اللغات .

إن طرق الدراسة للغة و الثقافة و العلوم يرجع إلى تفكير المستعمر ، وهي مستمدة كلياً من ثقافة و تفكير المستعمر الأوروبي السابق ، و تعتمد الجامعات في الدول الحديثة كلياً على تلك الطرق المستوردة و ثقافتها للتعليم ، و تخلو مناجها و طرق الدراسة فيها مما نشأ في بلادها و تطور من تجرب ، و علوم و وسائل كما تخلو مناجها من تاريخ بلادها و علومها الاجتماعية و ثقافتها المحلية (١) . كانت النتيجة الختامية القضاء الكامل على تراثنا التاريخي و حمو شخصيتنا الإسلامية و هكذا يستمر انهيار مجتمعنا بسرعة فاقعة .

(١) Modernization & Higher Education Edward Shils Modernization the Dynamics of Growth Myron Weiner the Voice of America Lectures Washington D. C. 1966 p. 97

و يمتاز الحواجز اللغوية و لا يمالي بخطر أي مجاهدة ، و تساعد في تحقيق هذه الأهداف المخططات القوية للإذاعة في اللغات المحلية لتلك الدول التي يستهدفها ، وإذاعة تيليفزيونات خاصة و تقارير إذاعية يجري إعدادها بدقة و رعاية لصالح الخاصة بطرق يؤثر على أذهان المستمعين في تلك الدول المنكوبة ، و قد مدت الأقمار الصناعية السبيل إلى النفوذ إلى المستمعين في المناطق النائية فتصل برامج العدو الموجهة ، و تتسرب ثقافته إلى غرف النوم ، و صالات الطعام ، و غرف الاستقبال و تستولي على أذهان السذج المقصومين من الأطفال و الصبيان ، و عامة الناس الذين يتمتعون بهذه البرامج المثيرة باعتبارها برامج التسلية و التربية التي تدخل متعددة إلى النفوس و تساعد على تزجية الوقت ، و تخدو المخططات المحلية للإذاعة و التلفزيون حذو مخططات العدو ، و تتعاون في تعميم تلك البرامج و تقلدها في برامجها ، و بذلك يندهور الوضع الإعلامي للبلاد ، و يعاني من الأفلام المعنوي .

و بالإضافة إلى هذه البرامج ، تسعى بلاد العدو إلى كسب صدافة و تأييد الطبقة التي تسي بالخبراء ، و الأخصائيين و المستشرقين و الدبلوماسيين ليساهموا في هذا المجال ، لكن يحمل رأيه وزناً علياً ، ولا يقدر من ضخامتها هذه الحلة الإعلامية على مواجهة و مقاومتها عملية غسل الذهن ، و دراسة هذه الأفكار دراسة نقدية ، و ليرفضوها في النهاية إلا من تعد أسماؤهم على الأنامل ، وهو قلة قليلة لتأثير لهم ، و معظمهم لا يحملون وزناً أو صوتاً يسمع ، و يبذل العلماء كل ما في وسعهم من جهد و يقتظ في سبيل إقصاء أي شخص يخشى أنه يقف عقبة في هذا المجال ، فيجري إبعاده أو عزله عن مجالات النفوذ والسلطة (١) .

(١) Cultural Imperialism Mohammad Masihuzzaman Muslims News International Karachi May 1975, P. P. 9. 12

الاندونيسين ، وأن تكافح الاحتفاظ بحرية العقيدة ، ولكنها لا تستطيع ولا تقدر على مكافحة الاتجاه اللغوي فيما يستغرقه المتصفح لصحف الاسلامية الاندونيسية و هو يكاد يكون ظاهرة عامة في ركن الأطفال مقالات في شرح المشاكل الدينية الأساسية ، متضمنة للفاظ وتعبيرات انجليزية ، وأحياناً جمل كاملة بالانجليزية تترك بدون ترجمة ، حيث يمكن استعمال مصطلحات عربية أو إندونيسية وتكون أكثر مفهومية من الانجليزية ،

لم يكن تأثير اللغة الانجليزية هامشياً فيما يتعلق بالمشاكل الدينية والعقائد التي قد يعبرها المسلمين الاندونيسيون المشاكل الحقيقة للبلاد ، فأن عدد متواذاً من الشباب المسلم في إندونيسيا يدرك بأن التغريب اللغوي يقصر و يعزل الوعي الإسلامي ، لأنها يجعل المسلمين في إندونيسيا منعزلين لغوياً عن الدول الإسلامية الأخرى . و يتعرّض عليهم دراسة اللغات الإسلامية ، و بالتالي يبتعدون عن المصدر العربي للعقيدة الإسلامية . و تتذرّع عليهم الدراسة المباشرة للقرآن والحديث النبوي الشريف و التعمق فيما .

و بذلك فإن غزو اللغة الانجليزية يهدد بتغيير الطبيعة و القابل الثقافي للغة الاندونيسية نفسها ، لكن يتحول النضال العقائدي والثقافي إلى اتجاه ملائم لأغراض الثقافة الغربية والتفاهم مع أصحابها ، و قد سهلت الإذاعات الانجليزية و برامج التسلية و المتعة و سبل الصحف الانجليزية الذي يكتسح البلاد انتشار الحديثة فهي جديدة ، ولا تزال في مرحلة التطوير ، والتكون ، و فوق ذلك أنها صبغت إلى حد كبير صبغة جديدة في قابل الثقافة الغربية ، وقد خالف ذلك إنعكاسات ، و ملابسات خطيرة بالنسبة لها ، لأنها تمر الآن بالمرحلة النهائية للتكون ، و النشأة وقد لا تتحقق محاولات التهذيب المتأخرة هذه الآثار التي تتركها عليها الثقافة الغربية . لا تنقل المصطلحات والكلمات الانجليزية الصحف والمجلات الثقافية و العلمية و الشعيبة التي تصدر في إندونيسيا وحدها ، و إنما تعدى تأثيرها و رواجها حتى

(١) Islam & Langvage Change in Indonesia Dennis walken yaqeen International Karachi August 22 1972 P. 90

يواجه مجتمعنا هزقاً ، و توزعاً نتيجة لانقطاع صانعه عن رأيه التاريخي المجيد و طمس معلم طريقه ، و يتولد منه جبل ليس له تاريخ ، و لا أصلة ، يعاني من الارتباط و الغربة و الانعزاز ، و قد ظهرت تنتائج خصوصنا الفكرى لنير العبودية . خلال عهد انجلاء الاستعمار ، في كل مكان ، و يمكن أن يلاحظ ذلك بوضوح ، في إندونيسيا على سبيل المثال ، وهي أكبر دولة باعتبار عدد السكان من المسلمين في العالم .

من المفارقات أن إندونيسيا تهربت لتأثير الغرب الحديث بعد الاستقلال أكثر مما تعرّضت له في عهد الحكم الهولندي المباشر ، فتكثّف اللغة الاندونيسية ، بالخط الروماني بدلاً من الخط العربي المحلي ، و قد فرضت لغة جديدة لخط جديد و صارت معظم الاندونيسين لغتهم الاندونيسية بالخط الروماني لغة أجنبية ، لا يقرأون و لا يكتبون بها رغم توجه عدد أكبر من الاندونيسين إلى المدارس للتعليم الثانوى و الجامعى والدراسات في الخارج ، لكن عدد أكبر منهم يقدر على أن يقرأ في اللغات الغربية ، و خاصة اللغة الانجليزية التي يتعلمونها بسهولة أكثر مما يتعلمون به اللغة العربية ، لتسهيل أبجديتها ، و قد سهلت الإذاعات الانجليزية و برامج التسلية و المتعة و سبل الصحف الانجليزية الذي يكتسح البلاد انتشار الثقافة الغربية والتفاهم مع أصحابها و تذوق أدابها في المدن ، أما اللغة الاندونيسية الحديثة فهي جديدة ، ولا تزال في مرحلة التطوير ، والتكون ، و فوق ذلك أنها صبغت إلى حد كبير صبغة جديدة في قابل الثقافة الغربية ، وقد خالف ذلك إنعكاسات ، و ملابسات خطيرة بالنسبة لها ، لأنها تمر الآن بالمرحلة النهائية للتكون ، و النشأة وقد لا تتحقق محاولات التهذيب المتأخرة هذه الآثار التي تتركها عليها الثقافة الغربية . لا تنقل المصطلحات والكلمات الانجليزية الصحف والمجلات الثقافية و العلمية

في الصحف و المجلات الإسلامية الدينية التي تكافح بجد أو تقاوم حملة التغريب الثقافي و الخلقي ، فإن الصحف الإسلامية ، تقدّر على تقديم بديل أيديولوجي

الأصول المعتبرة في إثبات أحكام الإسلام وتعاليمه

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد (الرياض)

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للتقين و الصلاة و السلام على عبده ورسوله
نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين و حجۃ على العباد أجمعین و على آلہ و أصحابه الذين
حملوا كتاب ربهم مسبحانه و سنة نبیهم ﷺ إلى من بعدهم بغاية الأمانة و الانقان
و الحفظ التام للعاف و الألفاظ رضي الله عنهم و أرضائهم و جعلنا من أتباعهم
باحسان .

أما بعد : فقد أجمع العلماء قديماً و حديثاً على أن الأصول المعتبرة في إثبات
الأحكام ، و يان الحلال و الحرام في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ، ثم سنة رسول الله عليه الصلاة و السلام الذي « لا ينطق
عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » ، ثم إجماع علماء الأمة ، و اختلف العلماء
في أصول أخرى أهمها القياس ، و جهور أهل العلم على أنه حجۃ إذا استوفى شروطه
المعتبرة ، و الأدلة على هذه الأصول أكثر من أن تحصر و أشهر من أن تذكر :
أما الأصل الأول : فهو كتاب الله العزيز و قد دل كلام ربنا عز وجل
في مواضع من كتابه على وجوب اتباع هذا الكتاب و التمسك به و الوقوف عند
حدوده قال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه أولياء قليلاء
ما تذكرون » و قال تعالى : « و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتحه و انقوا لعلمكم

لرعة الاسلام

ربيع الثاني ١٤٠٠

البعث الإسلامي

و قد ألغوا في ذلك المؤلفات الكثيرة و أوضحو ذلك في كتب أصول الفقه و المصطلحة ، والأدلة على ذلك لا تُحصى كثيرة ، فن ذلك ما جاء في كتاب الله العزيز من الأمر باتباعه و طاعته و ذلك موجه إلى أهل عصره و من بعدم لأنه رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ إلى الجميع ولأنهم مأمورون باتباعه وطاعته حتى تقوم الساعة و لأنه عليه الصلاة و السلام هو المفسر لكتاب الله و المبين لما أجل فيه بأقواله و أفعاله و تقريره ، ولو لا السنة لم يعرف المسلمين عدد ركعات الصلوات وصفاتها وما يجب فيها و لم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام و الزكاة و الحج و الجهاد والأمر نمسك به كان على العهد ومن تركه كان على الضلال ، ومن ذلك ما ثبت عنه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ أنه قال في خطبته في حجة الوداع : « إن تارك فِيْكُم مَا لَمْ تَضَلُّوا إِنْ اعْتَصَمْتُ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ » رواه مسلم في صحيحه ، وفي صحيح مسلم أيضاً عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ قال : « إن تارك فِيْكُم شَفَّافِيْنَ أَوْ هُمَا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَ النُّورِ خَذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَ نَمْسِكُوا بِهِ ، فَخُثُ على كِتَابَ اللَّهِ وَ رَغْبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ وَأَهْلَ بَيْتِيْ ، أَذْكُرْكُمُ اللَّهُ فِيْ أَهْلَ بَيْتِيْ ، وَ فِي افْظُولْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ جَبْلُ اللَّهِ مِنْ تَمْسِكِهِ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَ مِنْ تَرْكِهِ كَانَ عَلَى الضَّلَالِ .

و قال تعالى في سورة النساء أيضاً « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » و كيف يمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله و سنة رسوله إذا كانت منه لا يحتاج بها أو كانت كلها غير محفوظة ، وعلى هذا القول يكون الله قد أحال عباده إلى شئ لا وجود له ، وهذا من أبطل الباطل و من أعظم الكفر بالله وسوء الظن به ، وقال عز وجل في سورة النحل « وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ذِكْرَ لَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا لَهُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » و قال فيها صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ أيضاً « وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ كِتَاباً إِلَّا لَتَبَيَّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَافُوا فِيهِ هُدَى وَ رَحْمَةً » و من بعدم إيمانهم بهذا الأصل الأصيل و يستحقون به و يعلمونه الأمة ،

أما الأصل الثاني: من الأصول الثلاثة المجمع عليها فهو ما صح عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ من أقواله و أفعاله و تقريره و لم ينزل أهل العلم من أصحاب رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ و من بعدم إيمانهم بهذا الأصل الأصيل و يستحقون به و يعلمونه الأمة ،

الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . وخرج أبو داود وابن ماجة بسند صحيح : عن ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال ، لا ألفين أحدكم متشكأ على أريكته يأتيه الأمر من أمرى ما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه .

و عن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه يقول « حرم رسول الله ﷺ يوم خبر أشيا ثم قال يوشك أحدكم أن يكذبني و هو منكى يحدث بحديثي فيقول يمنا و ينكى كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه و ما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا أن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله : أخرجه الحاكم و الترمذى و ابن ماجة بأسناد صحيح .

و قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصى أصحابه في خطبه وابناع ما جاء به كاسبقت الأدلة على وجوب طاعة عليه الصلاة و السلام أوامره و نواهيه و هما أصلان متلازمان ، من جحد واحداً منها فقد جحد الآخر و كذب به و ذلك كفر و ضلال و خروج عن دائرة الإسلام باجماع أهل العلم و الإيمان و قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في وجوب طاعته و اتباع ما جاء به و تحريم معصيته وذلك في حق من كان في عصره وفي حق من يأتي بعده إلى يوم القيمة ، ومن ذلك ما ثبت عنه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ،

و قد حفظ أصحاب رسول الله ﷺ سنته عليه الصلاة و السلام القولية نقلها العلماء الثقات جيلاً بعد جيل و قرناً بعد قرن ، و جمعواها في كتبهم وأوضخوا صحيحة من سقبيها ، و وضعوا المعرفة بذلك قوانين و ضوابط معلومة يفهم بعلم

طبعوا الله و أطבעوا الرسول فان تولوا فاما عليه ما حل و عليكم ما حلتكم و إن طبعوه هتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين . . و قال تعالى في السورة نفسها « و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أطבעوا الرسول إماكم ترحمون » .

و قال في سورة الأعراف « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إلينكم جبئاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله و كلاته و اتبعوه لعلكم تهدون » و في هذه الآيات الدلالة الواضحه على أن الهداية والرحمة في آنباء عليه الصلاة و السلام ، وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسننه أو القول بأنه لاصحة لها أولاً يعتمد عليها ، و قال عز وجل في سورة النور « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصبهم فتنه أويصبهم عذاب أليم » و قال تعالى في سورة الحشر « وما آتاكم الرسول خذلوه و ما منهاكم عنه فانهواه و الآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على وجوب طاعته عليه الصلاة و السلام وابناع ما جاء به كاسبقت الأدلة على وجوب اتباع كتاب الله و التمسك به و طاعة أوامره و نواهيه و هما أصلان متلازمان ، من جحد واحداً منها فقد جحد الآخر و كذب به و ذلك كفر و ضلال و خروج عن دائرة الإسلام باجماع أهل العلم و الإيمان و قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في وجوب طاعته و اتباع ما جاء به و تحريم معصيته وذلك في حق من كان في عصره وفي حق من يأتي بعده إلى يوم القيمة ، ومن ذلك ما ثبت عنه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ،

و في صحيح البخارى عنه رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى قبل يا رسول الله و من يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ، وخرج أحد و أبو داود و الحاكم بأسناد صحيح عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال ، « الا أنى أوتيت الكتاب و مثله معه

بها صحيح السنة من ضعيفها وقد تداول أهل العلم كتب السنة من الصحيحين وغيرها وحفظوها حفظاً تاماً كما حفظ الله كتابه العزيز من عبّث العابثين والمحدثين وتحريف المبطلين تحقيقاً لما دل عليه قوله سبحانه «إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له حافظون»، ولاشك أن سنة رسول الله ﷺ وهي منزل فقد حفظها الله كحافظ كتابه وقضى الله لها علماء نقاداً، ينفون عنها تحريف المبطلين وتأويلي كل ما أصقه بها الجاهلون والكذابون والمحدثون لأن الله سبحانه جعلها تفسيراً لكتابه الكريم ويائناً لما أجمل فيه من الأحكام وضمنها أحكاماً أخرى لم ينص عليها الكتاب العزيز، كتفصيل أحكام الرضاع وبعض أحكام المواريث وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وحالتها إلى غير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر في كتاب الله العزيز.

ذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها . . . في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله ﷺ وارتدى من العرب قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والله لا قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة فقال له عمر رضي الله عنه كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا من دعائهم وأموالهم إلا بحقها»، فقال أبو بكر الصديق أليست الزكاة من حقها والله لو منعوني عنها كانوا يردوها إلى رسول الله ﷺ أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق، وقد تابعه الصحابة رضي الله عنهم على ذلك فقاتلوا أهل الردة، حتى ردوهم إلى الاسلام وقتلوا من أصر على رده، وفي هذه القصة أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها وجماعت الجدة إلى الصديق رضي الله عنه

تسأله عن ميراثها فقال لها ليس لك في كتاب الله شيء ولا أعلم أن رسول الله ﷺ قضى لك بشيء وسأل الناس، ثم سأله رضي الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بأن النبي ﷺ أعطى الجدة السادس قضى لها بذلك وكان عمر رضي الله عنه يوصي عماله أن يقضوا بين الناس بكتاب الله فإن لم يجدوا القضية في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ ، ولما أشكل عليه حكم إملاص المرأة وهو إسقاطها جنيناً بينما بسبب تعدد أحد عاليها سأله الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فشهد عنده محمد بن سامة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم بأن النبي ﷺ قضى في ذلك بفرة عبد أو أمة قضى بذلك رضي الله عنه . ولما أشكل على عثمان رضي الله عنه حكم اعتداد المرأة في بيته بعد وفاة زوجها وأخبرته فريعة بنت مالك بن منان اخت أبي مسعود رضي الله عنها أن النبي ﷺ أمرها بعد وفاة زوجها أن تهكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله قضى بذلك رضي الله عنه وهكذا قضى بالسنة في إقامة حد الشرب على الوليد بن عقبة وما بلغ علياً رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه ينهى عن متعة الحج أهل على رضي الله عنه بالحج والعمرمة جميعاً وقال لا أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس ولما احتج بعض الناس على ابن عباس رضي الله عنها في متعة الحج بقول أبي بكر و عمر رضي الله عنهم في تحبيذ إفراد الحج قال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال الله فإذا قالوها عصموا من دعائهم وأموالهم إلا بحقها، فأليست الزكاة من حقها والله لو منعوني عنها كانوا يردوها إلى رسول الله ﷺ أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق، وقد تابعه الصحابة رضي الله عنهم على ذلك فقاتلوا أهل الردة، حتى ردوهم إلى الاسلام وقتلوا من أصر على رده، وفي هذه القصة أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها وجماعت الجدة إلى الصديق رضي الله عنه

أنه قال إنما العلم كله العلم بالآثار ، وقال مالك رحمه الله ما ملأنا إلا راد و مردود عليه إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ ، وقال أبو حنيفة رحمه الله إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وقال الشافعى رحمه الله إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحًا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد روى رسول الله ﷺ حديثاً صحيحًا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب ، وقال أيضاً رحمه الله إذا قلت قولًا و جاء الحديث عن رسول الله ﷺ بخلافه فأضربوا بقولي الخاطئ ، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بعض أصحابه من أبناءه واللة لننعمن فغضب عليه عبد الله وسيه سباً شديداً وقال أقول قال رسول الله وتقول والله لننعمن ، ولما رأى عبد الله بن المغفل المزني رضي الله عنه وهو من أصحاب رسول الله ﷺ بعض أقاربه يخزف نهاده عن ذلك و قال له إن النبي ﷺ نهى الخذف و قال إنه لا يصيب صدراً ولا ينكأ عدواً و لكنه يكسر السن و يفقأ العين ثم رأه بعد ذلك يخزف فقال و الله لا كلامك أبداً أخبرك أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ثم تهدى ، وأخرج البيهقي عن أبوب السختياني التابعى الجليل أنه قال إذا حدث الرجل بسنة فقال دعنا من هذا ، و أبنتنا عن القرآن فاعلم أنه ضال و قال الأوزاعى رحمه الله السنة قاضية على الكتاب ولم يحيى الكتاب قاضياً على السنة ، ومعنى ذلك : أن السنة جات لبيان ما أجمل في الكتاب أو تقييد ما أطلقه أو بأحكام لم تذكر في الكتاب كما في قول الله سبحانه «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إلينهم و لعلم يتذكرون » وسبق قوله ﷺ « إلا أن أوبت الكتاب و مثله معه » و أخرج البيهقي عن عامر الشعبي رحمه الله أنه قال بعض الناس « إنما هلكتم في حين تركتم الآثار » يعني بذلك الأحاديث الصحيحة ، وأخرج البيهقي أيضاً عن الأوزاعى رحمه الله قال أنه لبعض أصحابه إذا لفظ عن رسول الله حديث فايده أن يقول بغيره فان رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله تعالى « وأخرج البيهقي عن الإمام الجليل سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله

مراحل الدعوة إلى الحق

(الحلة الثالثة الأخيرة)

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحي

تعریف : الأستاذ نور عالم الندوی

المرحلة الثالثة ، هي : مرحلة الحرب

إنما تدخل الدعوة مرحلة الحرب إذا نجحت مرحلتي التبليغ والشهادة على
الناس، و المиграة ، ذلك أن الحرب الاسلامية توقف على شروط عده ،
و ما لم تتوفر هذه الشروط لا يجوز لابناء الحق أن يسلوا السيف و يريقوا
الدماء في الأرض ، فلو صنعوا ذلك متسرعين ليكون ذلك عملاً مفسداً منهم
لا تبيحه الشريعة الاسلامية ، و ربما يؤخذون عليه عند الله و يعتبرون مفسدين
في الأرض فضلاً عن أن ينالوا عليه الثواب .

و تلك الشروط هي :

البعث الإسلامي
ردود على قاتله و قاتلاته كانوا من كان كا ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله عليه السلام أنه قال «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، أى فليخشوا ويحذر من خالف شريعة الرسول باطنًا و ظاهرًا : «أن تصيّبهم فتنة» ، أى في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة «أو يصيّبهم عذاب أليم» ، أى في الدنيا بقتل أو حبس أو نحو ذلك : كما روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله عليه السلام «مثلكم كمثل رجال استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش و هذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها و جعل يحجزهن و يغلبنـهـ فـيـقـتـحـمـنـ فـيـهـاـ قالـ فـذـكـ مـثـلـ وـ مـثـلـكـ النـارـ يـقـعـنـ فـيـهـاـ وـ جـعـلـ يـحـجـزـهـنـ وـ يـغـلـبـنـهــ فـيـقـتـحـمـنـ فـيـهـاـ،ـ أـخـرـ جـاهـ مـنـ حـدـيـثـ آـنـاـ آـخـذـ بـحـجـزـكـ مـعـنـ النـارـ هـلـمـ عـنـ النـارـ فـتـغـابـونـ وـ فـتـقـتـحـمـونـ فـيـهـاـ،ـ أـخـرـ جـاهـ مـنـ حـدـيـثـ عبدـ الرـزـاقـ وـ قـالـ السـيـوطـيـ رـحـمـهـ اللـهـ فـيـ رسـالـتـهـ المـسـيـاهـ مـفـتـاخـ الجـنـةـ فـيـ الـاحـتـجاجـ

«اعلموا رحمة الله أن من انكر أن كون حديث النبي ﷺ فولا كان أو فعل
شيء المعروف في الأصول حججه كفر و خرج عن دائرة الإسلام و حشر مع
اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الـكفرة، انتهى المقصود ، و الآثار
عن الصحابة و التابعين و من بعدهم من أهل العلم في تعظيم السنة و وجوب العمل
بها و التحذير من خالفتها كثيرة جداً و أرجو أن يكون في ما ذكرنا من الآيات
و الأحاديث و الآثار كفاية ومفعع لطالب الحق ، و نسأل الله لنا ولجميع المسلمين
ال توفيق لما يرضيه و السلامه من أسباب غضبه ، وأن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم
انه سميع قريب .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ وَعَلَى أَلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتَبِاعِهِ بِالْحَسَنَاتِ.



لأنه أضع نفسه في المصيبة وغمط المحقق ، و ثانياً ، لأنه كان سبباً لاناطخ سيف صاحب الحق بالدم . أما « الحرب المجموعية » فإنها لا تجوز ما لم يتم شرط التبليغ و عرض الاسلام ، و هذا التبليغ يتم عن طريقين :

(ألف) الطريق الأول أن يكون هذا التبليغ عن طريق النبي ، و النبي هو الوسيلة الكاملة للتبلیغ و إمام الحجۃ ، و يتم عن طريقه شرط التبليغ و إمام الحجۃ على أکل الوجه . لأن الله يبعثه بجميع الوسائل الممكنة في الحياة لاقناع العقل البشري ، و إذاً فلا يمكن أحداً من البشر أن يقوم بعمل الاقناع على خير طريق إلا النبي المبعوث المؤيد من الله العلي القدير ، فهو خير أفراد القوم ، من خير البتة ، و أكرم النبیت ، و هو أكرم خلقاً و سلوكاً قبل البعثة و بعدها ، لا يعرف الكذب ، و الافتراء ، و النفاق و المكر ، و الفدر ، و الخيانة ، و الاعجاب بالنفس ، و حب الغلو و الاستكبار ، حتى يشهد له بهذه الحال العدو و الصديق معاً ، إنه يعرض دعوته في لغة مفهومة لدى العامة و الخاصة ، و يصل الليل بالنهار من أجل إيصالها إلى كل صغير وكبير في الفئران ، تكون تعاليمه من الدقة و الاحکام و قوة الاستدلال بحث لا يسع المعارضين أن يردوا عليها :

ويحدث تحول كلى في حياة الناس إذا جالسوه ، يتحوال الظالم عادلاً ، و المفسد صالحًا ، و السارق أميناً ، و قاطع الطريق بحباً للامن والسلام ، و الزانى عفأ ، و الفاسق نزيراً ، و المقاوم ورعاً تقىاً ، و يعمل أولاً بنفسه بما يدعو إليه ، و يخضع خصوصاً كاملاً للنظام الذى ينادى بالناس للأخذ به ، و يأخذ أصحابه بتطليقات دعوته ، و يأخذهم بتمثيلها حقيقة حية متحركة ، و يستطيع أن يرى المعجزات و خوارق العادات إذا ألح الناس عليه بذلك ، ومن أجل ذلك كله كان تبليغ النبي رسائله الأخيرة لامام الحجۃ وحيثما يتم إمام الحجۃ على قوم عن طريق الـى ، فان

الله لا يدعهم يعيشون على هذه الأرض ، بل لابد أن يصنع أحد الامرین : لو كان المنکرون يشكلون أغایية ماحقة ، يمین الله منهم أهل الحق ، ويرسل على المنکرين والكافرين عذاباً من عنده أرضياً أو سماوياً ، و يدمرهم تدميراً ، فيصيبحون لا عین لهم ولا أثر ، و قد كان ذلك مع قوم نوح و قوم صالح و قوم شعيب عليهم السلام ، ولو كان المزمنون في عدد لا يأس به كالمنکرين ، بؤرس المؤمنون أن يعلنوا الحرب ضد المنکرين ، و لا ينتصروا من هذه الحرب ، حتى ينتهي المنکرون عن جحدهم و كفرهم إلى الایمان بالله ، والخضوع اطاعة الله ، أو تنظر أرض الله من دنسهم و أرجاسهم ، و قد أمر النبي ﷺ باعلان هذه الحرب ضد بني إسماعيل بعد ما آتت حجة الله عليهم .

و هذا القانون يتأسس على أن الأنبياء هم مظاهر قانون المكافأة الالهي ، يعيشون كمحكمة إلهية في الأرض ، و تأتي بعثتهم حكماً قاطعاً بين الحق و الباطل ، و لكي يفوز المحقون و يخسر المبطلون ، و بما أن مثل هذا الثواب و العقاب يتطلبان أن يسبقهما إمام الحجۃ ، فإن الأنبياء توفر فيهم جميع وسائل التبليغ و الاتمام ، فإذا ماثم هذا العمل في أکل وجهه و أدق صوره ، لا يبدع القانون الالهي أن يعيش على هذه الأرض وتحت هذه السماء أو يمکن الدين لا يزالون يلحون في غيهم و لا ينتهون من سكرتهم ، ولا يفيقون من شرهم وإفسادهم في الأرض ، و لما كان هذا العقاب بعد عملية دقيقة من إمام الحجۃ لا يمكن مثلها في الدنيا بعدها ، لا يسمى إکراهاً و إيجاراً ، لأن ذلك عين العدل والانصاف ، و الذين ينتظرون برسالة الله بعد إمام الحجۃ عن طريق الأنبياء ، فليس لهم حلة إلا أن يرفع الستار عن الحقائق الغافية لكي يشاهدوها بأم أعينهم ، لكن ذلك يتعارض مع سنة الله الجارية في الكون ، لأننا كلفنا بالایمان في هذه الدنيا على أساس

الشاهد و الرؤية ، فإذا ما تم كل ما كان يتطلبه العقل و الاستدلال عن طريق الأنبياء ، فلا معنى بعد ذلك للإيمان ، و ليس العقاب بعد ذلك - من الجور أو الاكراه في شيء .

(ب) أن يكون هذا التبليغ عن طريق الصالحين ، و أنه لا يمكن أن يأتى إتمام الحجة عن طريق الصالحين في قوة إتمام الحجة عن طريق الأنبياء و المرسلين لأنهم لا يتمتعون بذلك الوسائل والأسباب التي تتوفر عند الأنبياء ، كما أنهم لا يعيشون تلك الأوضاع الفكرية و القلبية التي يعيشها الأنبياء عليه السلام ، أضف إلى ذلك أنهم لا يمكن أن يكونوا من العصمة والبراءة ، ومن النجوة من الشبهات والشكوك و التهم ، يمكن فيه الأنبياء ، فغاية الحرب التي يشنونها ضد المنكريين لا تعدو أن يكون إقامة العدل والأمن ، و لا يستطيعون أن يضعوا شيئاً سوى أن ينزعوا القوة السياسية من المنكريين عن طريق الحرب و القتال ، حتى لا يتعدى مرضهم الخبيث إلى آخرين من خلق الله الأحياء ، و لهذا فلا يجوز لهم أن يتتجاوزوا القدر الذي يتحقق به هذا الغرض ، فلو تجاوزوا - ولو خطوة - يستحقون المزاخذة عند الله ، و ذلك هي الحروب التي حاربها الصحابة رضي الله عنهم فيما بعد رسول الله ﷺ ، و كان الصحابة يعرضون على المعارضين أن يستجيبوا لآحد من ثلاثة أشياء ، إما أن يدخلوا في حظيرة الإسلام ، فهم موافٍ مع الصحابة في كل شيء . وإنما أن يعيشوا كرعايا الحكومة الإسلامية فعليهم إذن أن يؤدوا مقداراً محدوداً من الضريبة ، و أن يخضعوا لها في جميع شئون الحياة إلا أحواهم الشخصية فهم فيها حرار ، و إنما أن يستعدوا للحرب .

و ربما يوم ذلك أن هذا التبليغ الذي كان يقوم به الصحابة رضي الله عنهم كان في غاية من الاجمال ولم يكونوا يعرضون الدين الحق على الناس في تفصيل وإيضاح

كان يعرضه بها النبي ﷺ ، أو كما يجب أن يعرض مفصلاً موضحاً حتى يسقيه القلب و تقبله النفس ، و يحبه العقل ، لكن ذلك وهم ليس من الحقيقة في شيء ، و ذلك أنه قد قام هناك في عهد الصحابة نظام حق فعلاً ، لم يكن قائماً في عهد الدعوة النبوية على صاحبها الصلاة و السلام . فلم يكونوا بحاجة إلى التبليغ التفصيلي لنفهم الإسلام ، بل كان النظام الحق القائم مثلاً لحقيقة الإسلام ، ولما يتطلبه الله تعالى من خلقه في حياتهم الفردية و الاجتماعية ، و كان هذا النظام العملي مظهر كل حقيقة ، و موضع وضوح لجميع شئون الحياة ، من العقيدة إلى العمل ، إلى الاجتماع ، إلى السياسة ، كان يراها العالم جلباً و اخراجاً في صورة واقع عمل حتى متحرك ، وكان يمكن لكل واحد من الناس أن يعرف الإسلام بظاهره و باطنه ، و بالاعتبارات التي يفوق بها نظم العالم كلها ، و يعرف الأسباب التي توعله للبقاء وحده دون جميع النظم في العالم ، ومهما كان هذا النظام قائماً في العالم ، فإنه يعني أهل الحق عن مسئوليات النظم في العالم . ومهما كان هذا النظم قائماً في العالم أن يخضعوا له ، فلو تمانعوا عن الدعوة التفصيلية و يحدرون بالمؤمنين أن يطالبوا العالم أن يخضعوا له ، فإنهم لا ينبعوا عن الطاعة فلهم أن يرغموا عليها بالحرب و المقاولة و بقوة الساعد والسان . ويرضى الإسلام للناس - في صورة عدم إتمام الحجة الذي ربما يقع في دعوة غير الأنبياء - أن يتسبّبوا بأى عقبة شاؤوا ، ولكنهم لا يرضى لهم أبداً أن يعرضوا على الناس نظاماً فاسداً جائراً ، بالقوة و السلطان .

٢- الشرط الثاني أن يحارب هذه الحرب الصالحون والمؤمنون ، لأن الجماد الإسلامي يرمي إلى تطهير الأرض من الفساد والجور ، فلا معنى له وض أوئك الذين أصبحوا الأفساد و المدم شعاراتهم و ديارهم ، للجهاد و القتال في سبيل الله ، إنما يقوم بهذا العمل الجليل أولئك الذين يؤمنون بإيماناً كاملاً لا يشوبه ريبة و لا ينافق بالأغراض التي فرض من أجساماً للجهاد ، و لامثال هؤلاء وحدتهم يجوز أن

بسروا السيف ، و الحرب التي يحاربونها هي التي عبرت عنه الشريعة بالجهاد في سبيل الله ، فلو قتلاوا فيها دعوا « شهادة » ولو نجوا منها بالحياة لسموا غزاة مجاهدين ، و الذين لا يؤمنون بالحق والعدل اللذين من أجل إقامتها فرض jihad لا يسمح لهم الإسلام بأن يريقوا دم أحد من البشر ، ولو صنعوا ذلك لكان عملاً هادماً منهم ويسألون عنه يوم القيمة ، والجنود الإسلامية لا تكون من « المستاجرين » - بفتح الجيم المعجمة - بل تتألف من الرجال الذين يؤمنون - بكل معنى الكلمة - بالاسلام ، و من أجله وحده يقاتلون . . وإن طبيعة الإسلام نفسها تتطلب أن لا ينتشر إلا بالمؤمنين به ، و ألا يسعى وراء تحقيقه و تنفيذه إلا الذين لا يستغون إلا رضا الله ، وإقامة الحق والعدل ، لا يريدون عرضاً من الحياة الدنيا ، فلو شاب جهودهم و اجهادهم غرض دنيوي ، لا يكون لهم قيمة في نظر الإسلام ، على أنهم يذوقون وبال ما أراقوه من الدماء ، و من أجل هذا كله كون الأنبياء عليهم السلام جماعة صالحة قبل أن يعلنوا الحرب و يخوضوها ، و لم يولفو جنداً من « المستاجرين » ، وقد عرض على النبي ﷺ أنس مnasibat بعض الغزوات أنهم راضون بالمساهمة في الجهاد حماية المسلمين ، لكنهم لم يكونوا يؤمنون بحقيقة الإسلام بل كانوا قد عرضوا خدماتهم مدفوعين بالعصبية القومية ، فرفض النبي ﷺ عرضهم و صارحهم بأنه لن يستعين في هذا العمل بمن لا يؤمنون بالهدف الذي من أجله يخوض المسلمون كلهم هذه الحروب و الغزوات ، و كذلك الحروب التي خاضها سيدنا موسى ، و سيدنا داود ، و سيدنا سليمان عليهم السلام إنما خاضوها بالمؤمنين الصالحين ، ليس غير .

و على ذلك فالحروب التي حاربها الصحابة رضي الله عنهم إنما ساهم فيها أولئك الذين كانوا يؤمنون بعقيدة و عمل بالفرض الذي من أجله أمسكوا السيف

و على الرغم من أن نفوذهم كان بعيد المدى ، و سلطانهم كان متراوحاً الأطراف ، فكان بالامكان أن يجمعوا الكثيرة الكثيرة من الجنود « المستاجرة » لكنهم لم يصنعوا ذلك فحسب ، بل لم يجندوا الجنود على الرواتب ، بل كلما عرضت لهم حالة الحرب ، كان ينفر كل منهم بزاده ، و مركبه ، و بنية إقامة الدين وحده ، و قد بلغوا من التقوى والورع والحيطة إلى أنه لو خطر ببال أحد منهم - أثناء الأخذ و الرد فيما بينهم وبين الأعداء - أنه مدفوع بعاطفة غير عاطفة الحصول على وجه الله و نيل رضاه أغمى من ساعته سيفه المسؤول حتى لا يلغ في دم إنسان بمجرد إرضاء الهوى ، و نزوات النفس (١) .

٣- الشرط الثالث أن تقام هذه الحروب في قيادة و إمارة أمير ذي سلطان و المراد من الأمير ذي السلطة ، أن يكون سلطانه قائماً على جماعته بالقوة و الدقة ، و يملك أن ينفذ الأحكام الشرعية في الناس ، وأن يرغّبهم على طاعتها و الخضوع لها ، و أن يكون خاضعاً هو لسلطنة عليها نابعة من سلطنة الله ، و أوضح و أقوى دليل على ذلك أن الأنبياء الكرام لم يعلنوا الجهاد ما لم يهاجروا إلى منطقة حررة و ينظموا جماعتهم و أتباعهم ، يدل على ذلك صنيع سيدنا موسى ، و تشهد به حياة سيدنا محمد ﷺ ، وقد صنع ذلك من حاول أن يقوم بهذه المسؤولية الجسيمة في القرون المتلاحقة ، كالسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والعلامة إسماعيل عبد الغني الشهيد « ش ١٢٤٦ - ١٨٢١م » فقد هاجرا مع جماعتهم إلى منطقة حررة ، وأسسا فيها إمارة مستقلة ونظموا جماعتهم ، ونفذوا عليها جميع الأحكام الشرعية والحدود الالهية .

(١) قد يمكن شعب الحكومة الإسلامية من غير المسلمين أن يساهموا في الحرب ، لكن ذلك منوط بشروط و أوضاع خاصة ، لا يعنيها هنا تفاصيلها ، وقد أفضلت في الحديث عنها في مؤلفاتي الأخرى .

و هذا الشرط يجب من سبعين اثنين :
 (ألف) أولاً : لأن الله لا يريد تمزيق نظام باطل ، ما لم يكن هناك أمل في أن الذين عازمون على هذا التمزيق والتفكيك ، يستطيعون أن يقيموا محله نظاماً حقاً ، إذ أن حالة الفوضى والاضطراب حالة غير طبيعية وغير عادلة ، تبعد عن الطبيعة البشرية كل البعد ، حتى تفضل عليها نظاماً باطلاً ، ومن ثم فإن الله لا يسمح بانارة الحرب جماعة مبهمة بجهولة ، غامضة ، لا تعرف قوتها وقدرتها ، ولا يحكمها أمير ذو نفوذ وسلطان له الحال والعقد ، قد امتحن في وفاته وولاته ، وطاعته وابناءه ، أعضاء جماعته منتشرون انتشار الخردل ، يستطيعون أن يفرقوا نظاماً ولكن ليس لديهم دليل قوى على أن يوحدوا متفرقاً ، ولا يمكن الثقة بهذا الصدد إلا بجماعة تحوات فعلاً جماعة سياسية يمددها تنظيم وتنسيق ، أصبحت تستحق أن تطلق عليها كلمة « الجماعة » أما قبل ذلك فتستطيع جماعة أن تجتهد وراء الحصول على هذه المكانة مكانة « الجماعة » لكنها غير مسموحة بالاقدام على الجماد ، بالسيف .

(ب) و ثانياً : لأن السلطان الذي تملك الجماعة المقاتلة المجاهدة نحو نفوس الناس وأموالهم ، هو سلطان وخطورة بالغة لا تتحمله جماعة لا تعدو سلطة زعيمها عليها سلطة خلقية معنوية ، لأن السلطة المعنوية ليست ضماناً كافياً للسيطرة بين الناس وبين إرادتهم في الأرض ، ومن هنالك فلا يجوز لزعيم إسلامي ، أن يسمح لتباعه بسل السيف ثقة منه بالسلطةخلقية والسلطات المعنوي فحسب ، لأنهم لا يفرقون بين الحلال والحرام بعد ما يجررون السيف لمرة واحدة ، فربما يصدر منهم ما قد خرجوا به بالسيوف ، و مقاومته بالرماح و السنان ، وقد تقوم بهذه التجربة الخرقاء - و فعلاً تقوم - تلك الأحزاب الثورية التي لا ترمي إلا إلى إحداث الانقلاب ، ولا تهدف إلا إلى القضاء على سلطان و نفوذ الحزب الحاكم ، وإلى إحلال سلطانتها محله ، فهي لا تبالي باحتلال الأمن ، و لا تتردج عن ارتکاب الجرائم ، ولا ترى معصية في ممارسة أي وحشية و ضراوة ، فكل شئ مباح عندها ، وجائز في شريعتها ، أما زعيم الجماعة الحقة التي تحب العدل وتحاول

أن تنشره ، فإنه مضطر - طبعاً - أن يلاحظ : أن النظام الذي يريد القضاء عليه هل يستطيع أن يعوض عباد الله نظاماً خيراً منه أم لا ، و الظلم الذي نهض بقمعه ، هل يستطيع أن يمنع منه رجاله كلّاً أم لا ، فإذا لم يكن يستطيع ذلك خرام عليه أن يعرض أموال الناس و أعراضهم و أرواحهم للملائكة اعتماداً منه على مجرد الصدقة ، فيكون - بذلك - قد قام بفساد شر من الفساد الذي نهض بمسائله .

٣ و الشرط الرابع ، الاعداد ، و استكمال القوة و العدة ، لكن الجماعة الصالحة لا تحتاج إلى تركيز العناية على هذا الجانب بمفرده ، لأن العناية الكاملة بالشروط الثلاثة المذكورة كافية بتوفير القوة و الاعداد عفواً ، و الدعوة الحقيقة تضم حوطها أصحاب الكفاءات و الاستعدادات المختلفة ، و توفر عن طريقهم الوسائل المادية والامكانيات الازمة ، و كذلك تتضاعف قوتهم المعنوية و الخلقتية عندما يأخذون طابع جماعة سياسية في جو حر تحت أمير ذي سلطان و نفوذ ، و يتفسح المجال أكثر من ذي قبل أمام توفر الوسائل و الامكانيات المادية .

و من هنالك فإن توفير القوة و العدة منوط بتحقيق الشروط المشار إليها و لا حاجة إلى العناية الزائدة بذلك مفردة ، و لكن على الرغم من ذلك تمس الحاجة من أجل الحروب الهجومية إلى إعداد القوة كشرط لازم ، فإذا ما أعلنت لتباعه بسل السيف ثقة منه بالسلطة الخلقية و السلطات المعنوي فحسب ،

لأنهم لا يفرقون بين الحلال والحرام بعد ما يجررون السيف لمرة واحدة ، فربما يتصدر منهم ما قد خرجوا به بالسيوف ، و مقاومته بالرماح و السنان ، وقد تقوم بهذه التجربة الخرقاء - و فعلاً تقوم - تلك الأحزاب الثورية التي لا ترمي إلا إلى إحداث الانقلاب ، ولا تهدف إلا إلى القضاء على سلطان و نفوذ الحزب الحاكم ، وإلى إحلال سلطانتها محله ، فهي لا تبالي باحتلال الأمن ، و لا تتردج عن ارتکاب الجرائم ، ولا ترى معصية في ممارسة أي وحشية و ضراوة ، فكل شئ مباح عندها ، وجائز في شريعتها ، أما زعيم الجماعة الحقة التي تحب العدل وتحاول

دراسات وأبحاث

بعض

الخلافة شروطها و التزاماتها

الأستاذ خالد سالم

الخلافة عقد مراضة و اختيار ، لأنها بيعة بالطاعة من له حق الطاعة من ولایة الأمر . فلا بد فيها من رضا من يباع ليتولاها ورضا المباعين له . ولذلك إذا رفض أحد أن يكون خليفة و امتنع من الخلافة لا يجوز إكراءه عليها ، فلا يجبر على قبولها بل يعدل عنه إلى غيره . وكذلك لا يجوز أخذ البيعة من الناس بالاجبار والاكراه لأنه حينئذ لا يصح اعتبار العقد فيها صحيحاً لمنافاة الاجبار لها ، لأنها عقد مراضة و اختيار ، لا يدخله إكراء ولا إجبار كأى عقد من العقود ، إلا أنه إذا تم عقد البيعة من يعتد بيعتهم فقد انعقدت البيعة ، و أصبح المباع هو ولی الأمر ، فوجبت طاعته ، و تصبح البيعة له بيعة على الطاعة و ليست بيعة لقد الخلافة ، و حينئذ يجوز له أن يجبر الناس الباقين على بيعته لأنها إجبار على طاعته و هذا واجب شرعاً ، و ليست هي في هذه الحال عقد بيعة بالخلافة حتى يقال لا يصح فيه الاجبار ، وعلى ذلك فالبيعة ابتداء عقد لا تصح إلا بالرضا و اختيار ، أما بعد انعقاد البيعة لل الخليفة فتصبح طاعة أى اتفاقاً لأمر الخليفة إلا بعقد كالقضاء لا يكون المرء قاضياً إلا إذا ولاه أحد القضاء . و الامارة لا يكون أحد أميراً إلا إذا ولاه أحد الامارة . و الخلافة لا يكون أحد خليفة إلا إذا ولاه أحد الخلافة .

ومن هنا يتبيّن أنه لا يكون أحد خليفة إلا إذا ولأه المسلمين ، ولا يملك صلاحيات الخلافة إلا إذا تم عقدها له ، ولا يتم هذا العقد إلا من عاقدين أحدهما طلب الخلافة و المطلوب لها ، و الثاني المسلمين الذين رضوا به أن يكون خليفة لهم ، و لهذا كان لا بد لانعقاد الخلافة من بيعة المسلمين . و على هذا فإنه إذا قام مسلط واستولى على الحكم بالقوة فإنه لا يصبح بذلك خليفة و لو أعمل نفسه خليفة للسلفيين ، لأنه لم تتعقد له خلافة من قبل المسلمين ، و لو أخذ البيعة على الناس بالاكراه و الاجبار لا يصبح خليفة و لو بوعي ، لأن البيعة بالاكراه و الاجبار لا تعتبر و لا تتعقد بها الخلافة ، لأنها عقد مراضاة و اختيار لا يتم بالاكراه والاجبار ، فلا تتعقد إلا باليبيعة عن رضا و اختيار ، إلا أن هذا المسلط إذا استطاع أن يقنع الناس بأن مصلحة المسلمين في بيعة وأن إقامة أحكام الشرع تتحمّل بيعته و قنعوا بذلك و رضوا ، ثم يابوه عن رضا و اختيار ، فإنه يصبح خليفة منذ اللحظة التي بويغ فيها عن رضا و اختيار ، و لو كان أخذ السلطان ابتداء بالسلط و القوة . فشرط هو حصول البيعة و أن يكون حصولها عن رضا و اختيار ، سواء كان من حصلت له البيعة هو الحاكم و السلطان أو لم يكن .

أما من هم الذين تتعقد الخلافة بيعتهم فإن ذلك يفهم من استعراض ما حصل في بيعة الخلفاء الراشدين و ما أجمع عليه الصحابة . ففي بيعة أبي بكر اكتفى بأهل الخل و العقد من المسلمين كانوا في المدينة وحدهما و لم يؤخذ رأي المسلمين في مكان و في سائر جزيرة العرب ، بل لم يسألوا . و كذلك الحال في بيعة عمر أما في بيعة عثمان فالعبد الرحمن بن عوف أخذ رأي المسلمين في المدينة ، و لم يقتصر على سؤال أهل الخل و العقد كما فعل أبو بكر عند ترشيح عمر ، وفي عهد على اكتفى بأكثر أهل المدينة وأهل الكوفة و أفرد هو باليبيعة واعتبرت

ريته حتى عند الذين خالفوه و حاربوه ، فأنهم لم يبايعوا غيره و لم يعتضوا على بيعته ، و إنما طالبوا بعد عثمان ، فكان حكمهم حكم البغاة الذين نعموا على الخلافة أمرآ ، فعليه أن يوضّحه لهم و يقاتلهم ، و لم يكونوا خلافة أخرى . و قد حصل كل ذلك - أي بيعة الخلافة من أكثر أهل العاصمة فقط دون باقي الأقاليم - على مرأى وسمع من الصحابة ، و لم يكن هناك مخالف في ذلك و لا منكر لهذا العمل من حيث اقتصار البيعة على أكثر أهل المدينة مع خالفتهم في شخص الخليفة و إنكارهم أعماله ، و لكن لم ينكروا اقتصار مبايعته على أكثر أهل المدينة ، فكان ذلك إجماعاً من الصحابة على أن الخلافة تتعقد من يمثلون رأي المسلمين في الحكم ، لأن أهل الحل و العقد و أكثر سكان المدينة كانوا هم أكثرية المسلمين لرأي الأمة في الحكم في جميع رقعة الدولة الإسلامية جنباً .

و على هذا فإن الخلافة تتعقد إذا جرت البيعة من أكثر المسلمين لا أكثر بيعته و قنعوا بذلك و رضوا ، ثم يابوه عن رضا و اختيار ، فإنه يصبح خليفة الأمة الإسلامية من يدخلون تحت طاعة الخليفة الذي يراد انتخاب خليفة مكانه كما جرى الحال في عهد الخلفاء الراشدين ، و تكون بيعتهم حينئذ بيعة عقد للخلافة ، أما من عدّهم فإنه بعد انعقاد الخلافة للخليفة تصبح بيعته بيعة طاعة ، أي بيعة اتفاقاً و اختيار ، سواء كان من حصلت له البيعة هو الحاكم و السلطان أو لم يكن .

في بيعة الخلفاء الراشدين هذا إذا كان هناك خليفة مات أو غزل ، و يراد إيجاد خليفة مكانه ، أما إذا لم يكن هناك خليفة مطلقاً ، وأصبح فرضاً على المسلمين أن يقيموا خليفة لهم لتنفيذ أحكام الشرع و حمل الدعوة الإسلامية إلى العالم ، كما هي الحال منذ زوال الخلافة الإسلامية في إسطنبول سنة ١٣٤٢ هجرية الموافق سنة ١٩٢٤ ميلادية حتى يومنا هذا سنة ١٣٧٩ هجرية الموافق سنة ١٩٦٠ ميلادية ، فإن كل قطر من الأقطار الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي أهل لأن يبايع خليفة ، و تتعقد به الخلافة

البعث الاسلامي - ١٤٠٠ - الثاني - ربيع

القيام به مدة تزيد على ثلاثة أيام ، فتفصيلهم هذا ترك لفهم في اختبار من يريدون . فمن يقوم في الفرض يكفي لانعقاد الخلافة به ، و متى قامت الخلافة في ذلك القطر وانعقدت خلافة ، يصبح فرضاً على المسلمين جميعاً الانضواء تحت لواء الخلافة و مبايعة الخليفة و إلا كانوا آئيين عند الله ، و يجب على هذا الخليفة أن يدعوهم لبيعته ، فان امتهنوا كان حكمهم حكم البغاة و وجوب على الخليفة محاربتهم حتى يدخلوا تحت طاعته ، وإذا بُويع الخليفة آخر في نفس القطر أو في قطر آخر بعد بيعة الخليفة الأولى وانعقاد خلافة له انعقاداً شرعاً بما مستوفياً الأمور الأربع السابقة ، وجب على المسلمين محاربة الخليفة الثاني حتى يبايع الخليفة الأول ، لما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « و من بايع إماماً فأعطاه صفة يده و ثمرة قلبه فلا يطعه إن استطاع ، فان جاء آخر ينافيه فاضربوا عنق الآخر » ، و لأن الذي يجمع المسلمين هو الخليفة المسلمين برأية الإسلام ، فإذا وجد الخليفة وجدت جماعة المسلمين و يصبح فرضاً الانضمام إليهم ويحرم الخروج عنهم ، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شهراً فمات إلا مات ميتة جاهلية » . و روى مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « من كره من أمره شيئاً فليصبر فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شهراً فمات إلا مات ميتة جاهلية » . و مفهوم هذين الحديثين لزوم الجماعة و لزوم السلطان .

و لا حق في البيعة لغير المسلمين ولا تجحب عليهم ، لأنها بيعة على الاسلام
و على كتاب الله و سنة رسول الله ، و هي تقتضى الامان بالاسلام و بالكتاب
و السنة ، و غير المسلمين لا يجوز أن يكونوا في الحكم ، إلا أن ينتخبو الحاكم ،
لأنه لا سبيل لهم على المسلمين ، و لأنهم لا محل لهم في البيعة .

فإذا بايع قطر ما من هذه الأقطار الإسلامية خليفة ، و انعقدت الخلافة له ، فإنه يصبح فرضاً على المسلمين أن يبايعوه بيعة طاعة أو بيعة انتقاد ، بعد أن انعقدت الخلافة له بيعة أهل قطره ، سواء كان هذا القطر كبيراً كصر أو تركيا أو إندونيسيا أو كان صغيراً كالباتافيا والكمرون ولبنان على شرط أن تتوفر فيه أربعة أمور : أحدها : أن يكون سلطان ذلك القطر سلطاناً ذاتياً يستمد إلى المسلمين وحدتهم لا إلى دولة كافرة أو نفوذ كافر .

نابها : أن يكون أمان المسلمين في ذلك القطر بأمان الإسلام لا بأمان الكفر
أى أن تكون حمايته من الداخل والخارج حماية إسلام من قوة المسلمين
باعتبارها قوة إسلامية بحثة .

ثالثاً : أن يبدأ حالاً ب مباشرة تطبيق الاسلام كاملاً تطبيقاً افقلاياً شاملـاً ، وإن يكون متسبباً بحمل الدعوة الاسلامية .

رابعاً : أن يكون الخليفة المبايع مستكلاً شرط انعقاد الخلافة ، وإن لم يكن مستوفياً شرط الأفضلية ، لأن العبرة بشرط الانعقاد .

فإذا استوفى ذلك القطر هذه الأمور الأربع فقد وجدت الخلافة بعياً عن ذلك
القطر وحده وإنعقدت به وحده ولو كان لا يمثل أكثر أهل الحل والعقد لا كثرة الأمة
الإسلامية ، لأن إقامة الخلافة فرض كفاية ، والذي يقوم بذلك الفرض على وجوبه
الصحيح يكون قام بالشيء المفروض . ولأن اشتراط أكثر أهل الحل والعقد
إذا كانت هناك خلافة موجودة يراد إيجاد خليفة فيها مكان الخليفة المتوفى أو
المعزول . أما إذا لم تكن هناك خلافة مطلقاً ويراد إيجاد خلافة ، فإن مجرد وجودها
على الوجه الشرعي تتعقد الخلافة بأى خليفة يسْتَكْمِل شروط الانعقاد منها كان عدد
المابعين الذين بايعوه ، لأن المسألة تكون حبلاً مسألة قيام بفرض قصر المسلمين عن

البيعة :

البيعة فرض على المسلمين جميعاً، وهي حق لكل مسلم رجلاً كان أو امرأة أياً كونها فرضاً فالدليل عليه أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام « من مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ». وأما كونها حقاً ل المسلمين فإن البيعة من حيث هي تدل على ذلك، لأن البيعة هي من قبل المسلمين لل الخليفة وليس من قبل الخليفة لل المسلمين، وقد ثبتت بيعة المسلمين للرسول في الأحاديث الصحيحة.

ففي البخاري عن عبادة بن الصامت قال: « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره و أن لا نزارع الأمر أهله ». وفي البخاري عن أيوب عن حفصة عن أم عطية قالت: « بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ على أن لا يشرك بالله شيئاً و هانا عن النياحة فقبضت امرأة من يدها فقلت فلانة أسعدتني و أنا أريد أن أجزيها فلم يقل شيئاً فذهبت ثم رجعت ». وعن أبي هريرة قال: قال رسول:

رجل على فضل ما بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنياه إن أعطاها ما يريد وفي له و إلا لم يف له، ورجل بايع رجلاً بسلعة

بعد العصر خلف بالله أقدر أعطي بها كذلك و كذلك فصدقه فأخذها ولم يعط بها ».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « كذلك إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعت »، وعن جرير بن عبد الله قال: « بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة فلقتني فيها استطعت و النصح لكل مسلم »، وعن جنادة بن أبي

أميمة قال: « دخلنا على عبادة بن الصامت و هو مريض فلنا أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال: « دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيها أخذ

عليها أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وان لا نزارع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان ».

فالبيعة ل الخليفة هي بيد المسلمين ، وهي حقهم ، وهم الذين يبايعون ، ويتعهتم هي التي تجعل الخلافة تعتقد ل الخليفة . وتكون البيعة مصادفة باليد أو الكتابة لفرق بين الرجال والنساء . فان لهن أن يصافحن (١) الخليفة باليبيعة كاصافحه الرجال . وأما ما روى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية لا يشرك بالله شيئاً ». قال وما مست يد رسول ﷺ يد امرأة إلا امرأة يمسكها ، فان هذه الرواية تحدث فيها عائشة عن مبالغ علمها هي . فعلى حد علمها لم تمس يده امرأة ، ولكن هناك أحاديث أخرى تدل على المصادفة ، خدبيث أم عطية الذي تقول فيه « فقبضت امرأة هنا يدها » يدل على أنها كانت باسمة يدها للبيعة ، فلما نهاهن عن النياحة قبضت يدها عن البيعة . ومفهوم « فقبضت هنا امرأة يدها » أن غيرها لم تقبض يدها و هذا يعني أن غيرها بايع بالصادفة . و هو حدبيث صحيح رواه البخاري ، وهو نص في المصادفة في مفهومه و متطوّره . ف تكون البيعة مصادفة باليدي ، و قد تكون بالكتابه فقد حدث عبد الله بن دينار قال شهدت ابن عمر النبي ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم و لهم عذاب أليم : عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله و سنة رسوله ما استطعت » . و يصبح أن تكون البيعة بأية وسيلة من الوسائل .

إلا أنه يشرط في البيعة أن تصدر من البالغ ، فلا تصح البيعة من الصغار ، فقد حدث أبو عقيل زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام و كان قد أدرك النبي ﷺ و ذهب به أمه زينب ابنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول بايعه ، فقال النبي ﷺ هو صغير فسخ رأسه و دعا له ».

(١) لا ندرى جمّور العلماء يبيحون ذلك ، و ما دام صوت المرأة الأجنبية أمينة قال « دخلنا على عبادة بن الصامت و هو مريض فلنا أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال: « دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيها أخذ

لا يجوز سماعه لغير المحارم فكيف بمصادفة المرأة الأجنبية !

» التحرير »

الحقيقة المجردة عن عيد الميلاد

الأستاذ محمد مصطفى رمضان

★ دائرة المعارف الكاثوليكية : العادات الوثنية تحولت إلى عيد الميلاد :

★ دائرة المعارف البريطانية : عيد الميلاد أخذ عن الوثنية !

★ دائرة المعارف الأمريكية : عيد الميلاد هو احتفال روماني قديم !

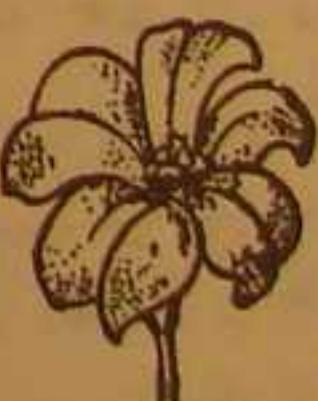
ما لهذا الشخص المسلم وعيد الميلاد عند نصارى الغرب ، أو النصارى جمعاً سواه ساروا على الحساب الغربي أو الشرقي في تحديد تاريخ مولد عيسى عليه السلام ، لست أشك في أن هذا التساؤل هو ما سدور في ذهن بعض القراء وهم يقرأون عنوان هذا المقال واسم كاتبه ، وأسأرع فأطمئنهم إلى أن الأمر لا يعدو أن يكون حديثاً عن كتيب بالإنجليزية يحمل نفس عنوان هذا المقال أصدرته « كنيسة جميع أنحاء العالم » الأمريكية بمدينة « باسادينا » في ولاية كاليفورنيا ، التي تصدر المجلة الشهرية المجانية المعروفة « الحقيقة المجردة » .

و هذا الكتيب الذي يقع متنه في خمس عشرة صفحة يؤكد بأدلة تاريخية أن عيد الميلاد هو احتفالوثني لا صلة له - لا من قريب ولا من بعيد - بالنصرانية . أو المسيحية إن شئت ، وفي هذه « الحقيقة المجردة » مغزى يتجاوز عندنا نحن المسلمين وثنية عيد الميلاد إلى صيم عقيدة التثليث والصلب إلى « أدخان » على دين عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء كما نص على ذلك الإسلام .

أما ألفاظ البيعة فإنها غير مقيدة بألفاظ معينة ، ولكن لابد أن تشتمل على العمل بكتاب الله و سنة رسوله بالنسبة لل الخليفة ، و على الطاعة في العسر و اليسر و المشط و المسکر بالنسبة للذى يعطى البيعة و من أعطى المبايع البيعة لل الخليفة أو انعقدت الخليفة ببيعة غيره من المسلمين فقد أصبحت البيعة أمانة في عنق المبايع لا يحل له الرجوع عنها ، فهى حق باعتبار انعقاد الخليفة حتى يعطيها ، فان اعطها لزم بها . و لو أراد أن يرجع عن ذلك لا يجوز ، ففي البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن أعرابياً بايع رسول الله ﷺ على الاسلام فأصابه وعلك فقال : « أقلني يعنى » فأبى ، ثم جاء فقال : « أقنى يعنى » فأبى نفرج .

قال رسول الله ﷺ « المدينة كالكثير تنفي خبئها و ينصح طيبها » . و عن نافع قال : قال لي عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « من خلع يداً من طاعة الله اق الله يوم القيمة لا حجة له » . و نقض بيعة الخليفة خالع للبد من طاعة الله . غير أن هذا إذا كانت بيته لل الخليفة بيعة انعقاد أو بيعة طاعة الخليفة رضي الله عنه المسلمون و بايعوه أما لو بايع خليفة ابتداء ثم لم تم البيعة له فان له أن يتحall من تلك البيعة على اعتبار أن المسلمين لم يقبلوه بمجموعهم . فالنهى في الحديث منصب على الرجوع عن بيعة الخليفة لا عن بيعة رجل لم تم له الخليفة .

« يتبع »



حقائق مذهلة . .

يداً مؤلف الكتاب « هربرت أرمسترونج » صفحات كتبته بهذه الفقرة :
« من أين جاءنا عبد الملائكة ؟ من الكتاب المقدس أم من الوثنية ؟ إليك الحقائق
ال不容置疑 في هذا الصدد = إن رعما تمثل صدمة بالنسبة لك

وتحت عنوان « ماذا تقول دوائر المعارف » أكد الكاتب في الصفحة الثامنة أن كلمة « عبد الميلاد » لم ترد لا في الكتاب المقدس بعمديه القديس و الجدید ، لم تقا عن الحوازن ، وإنما تسربت إلى النصرانية من الوثنية .

و يمضى الكاتب فيقول : « بما أن الاحتفال بعيد الميلاد إنما جاء عن طريق الكنيسة الكاثوليكية ، ولم يكن مرتكزاً إلى أية سلطة سوى سلطة تلك الكنيسة فدعونا نقرأ ما تقوله دائرة المعارف الكاثوليكية عن هذا الاحتفال في طبعة ١٩١١ م و هذا نصه :

لم يكن عبد الميلاد واحداً من الأعياد الأولى للكنيسة الكاثوليكية ، و أول دليل على هذا الاحتفال إنما جاء من مصر . . فقد تحولت العادات الوثنية الخاصة ببداية شهر يناير في التقويم الروماني القديم ، تحولت إلى عيد الميلاد . و يعترف أول الآباء الكاثوليك بالحقيقة التالية : لم يسجل الكتاب المقدس أن أحداً كان يحتفل أو أقام مأدبة كبيرة بمناسبة يوم ميلاده . إن الآئمرين و الخطائين - مثل فرعون و هيرود - هم و حدهم الذين يجعلون من يوم مجيئهم إلى هذا العالم مناسبة للابتهاج العظيم . أما دائرة المعارف البريطانية فهي تقول في طبعة ١٩٤٦ م : (ولم يوجدء - أي عبد الميلاد - لا المسيح ولا الحواريون ولا نص من الكتاب المقدس بل أخذ - فيما بعد - عن الوثنية) . و ينقل « هربرت أرمسترونج » عن دائرة المعارف الأمريكية في طبعة (١٩٤٤ م) قوله : (. . و في القرن الرابع الميلادي

بدأ الاحتفال لتخليد ذكرى هذا الحدث أى ميلاد المسيح ، وفي القرن الخامس أمرت الكنيسة الغريغورية بأن يحتفل به إلى الأبد في يوم الاحتفال الروماني القديم بميلاد سول ، نظراً لعدم معرفة يوم ميلاد المسيح معرفة مؤكدة) .

و يمضي مؤلف كتاب « الحقيقة المجردة عن عيد الميلاد » ليحدثنا عن أن المسيح لم يولد في الشتاء بأدلة من الأنجل مفادها أن الوعاة كانوا يحرسون أغامهم ليلة وليلة ميلاد المسيح و هو أمر لم يكن يحدث في فلسطين شتاء . و إنما قبل منتصف أكتوبر ، و ينقل « هربرت ارمستروننج » عن دائرة معارف تشفاف - هيرزوج الجديدة للعمرنة الدينية : قوله : « ليس باستطاعتنا أن نقرر بدقة إلى أي مدى اعتمد تاريخ الاحتفال بعيد الميلاد على احتفال (بروماليا) الوثنى وتاريخه هو الخامس والعشرون من ديسمبر . الذى كان يلي احتفال (ساتورناليا) الذى كان يمتد من السابع عشر من ديسمبر إلى الرابع والعشرين منه ، أي على مدى أسبوع كامل وأيضاً على الاحتفال بأقصر يوم في السنة وبالشمس الجديدة ، لقد كان احتفالاً من الصعب على المسيحيين أن يتتجاهلوهما . . ولقد كانت هذين الاحتفالين بترجمة سياً لكي يواصلوا الاحتفال بهما مع إحداث تغيير طفيف في روحهما وأسلوبهما و صخباً و مرحهما و بهجتها شعية كبيرة بحيث إن المسيحيين سعدوا حين وجدوا التأمة التي تم الاحتفال فيها بموعد المسيح ، بينما أتم مسيحيو ما بين النهرين دجلة والفرات - إخوانهم الغربين بالوثنية وعبادة الشمس باستخدام هذا الاحتفال الوثنى عبداً مسيحياً . .

الوثي عيداً مسيحيًا ، .
و نمضى مع كتيب « الحقيقة المجردة عن عبد الميلاد » فإذا بمؤلفة يقول

فلك أن تسمى الأرب أسدًا و لكنه سيظل أربناً رغم التسمية !
 الأصل الحقيقى لعبد الملاد
 و لكن إذا كنا قد أخذنا عبد الملاد عن الكاثوليك و هم أخذوه عن
 الوثنية فن أين أنت به الوثنيون ؟
 أين و متى و ماذا كان أصله الحقيقى ؟ و يروى لنا مؤلف الكتب قصة
 الأصل الحقيقى لعبد الملاد على هذا النحو .
 « كان نمرود - و هو حفيد حام ابن نوح - رجلا شريوآ في مدينة بابل
 التي غرق أهلها في الترف و الآثام . . و يقال إنه تزوج أمه التي كان اسمها سميراء
 ميس . و بعد موته المفاجئ نشرت سميراء ميس عقيدة شريرة مفادها أن نمرود
 ظل على قيد الحياة في شكل كائن روحي . وادعت أن شجرة مخضرة احضراراً دائماً
 نبت ذات ليلة في جذع شجرة ميتة ، و هو ما يرمز إلى ابتكاق حياة جديدة من
 الميت نمرود ، وزعمت سميراء ميس أن نمرود يزور تلك الشجرة الدائمة الاحضرار
 في ذكرى عبد ميلاده من كل سنة و يترك فوقها هدايا ، و كان تاريخ ميلاد
 نمرود الخامس والعشرين من ديسمبر . وهذا هو الأصل الحقيقى لشجرة عبد الملاد
 و نجحت سميراء ميس في خططها لكي تصبح « ملكة السماء المقدسة » ، وأصبح نمرود في
 - تحت أسماء عديدة - (ابن السماء المقدس) وعلى مر العصور أصبح نمرود في
 طقوس العبادة الوثنية هذه هو المسيح الدجال ابن بعل الله الشمس ، وفي هذا النظام
 البالى الزائف أصبحت الأم والطفل - سميراء ميس و نمرود الذي ولد مرة أخرى
 - أصبحا محور تلك العبادة .

وقد انتشرت عبادة « الأم والطفل » هذه في أنحاء العالم ، وتعددت أسماؤها
 في البلدان و الأقطار المختلفة ففي مصر سميما « إيزيس وأوزوريس » ، و في آسيا

و من الممكن أن نطلق عليه اسم آخر و لكنه يظل دوماً مهرجان عبادة
 الشمس الوثنى القديم ! و التغير الوحيد إنما يتمثل في الاسم الذى نطلقه عليه !

تعليقًا على الاقتباس السابق : « يجب أن نتذكر أن العالم الرومانى كان وثنياً ، وكان
 المسيحيون قبل القرن الرابع الملادى قلة من حيث العدد - وإن كانوا يتزايدون -
 وكانت الحكومة والوثنيون يضطهدونهم ، و لكن بتنصيب قسطنطين إمبراطوراً
 و هو الذى اعتنق المسيحية في القرن الرابع واضعا إياها على قدم المساواة مع
 الوثنية . بدأ مئات الآلاف من سكان العالم الرومانى يقبلون المسيحية التى أصبحت
 وقتها ذات شعبية ، و علينا أن نتذكر أن هؤلاء الناس نشأوا و ترعرعوا في خضم
 العادات والتقاليد الوثنية التي كان أبرزها هذا الاحتفال الوثنى الذى يقام في الخامس
 والعشرين من ديسمبر . والذى كانوا يستمتعون به والذى لم يكونوا أغبياء في التخلص منه .
 و نفس هذا المقال الوارد في دائرة معارف « شاف - هير زوج » يشرح
 كيف أعطى اعتراف قسطنطين يوم الأحد (يوم الشمس و هو معنى المقطعين
 اللذين تكونون منها كلمة يوم الأحد بالإنجليزية) الذى كان يوم عبادة الشمس
 عند الوثنين و كيف أعطت تأثيرات القبطة المانوية (نسبة إلى شخص فارسي
 اسمه « مانى » دعا إلى دين ثانى يقوم على الصراع بين النور و الظلمة) الذى كانت
 روى أن « ابن الله » هو و الشمس شئ واحد . كيف أعطى هذان الأمران -
 اعتراف الامبراطور قسطنطين يوم عبادة الشمس ، و تأثيرات المذهب المانوى -
 وثني القرن الرابع الذين كانوا يتوجهون بالجملة إلى المسيحية ، العذر الذى كانوا يبحشون
 عنه لتسمية الخامس والعشرين من ديسمبر ، و هو تاريخ مهرجانهم الوثنى الذى
 يختلفون فيه بمولد الشمس الاله . لتسمية عبد الملاد ابن الله ، و بهذه الطريقة
 أصبح (عبد الملاد) لصيقاً بعالمنا الغربي !

المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان الأساسية ١

(الحلقة الثانية)

الأستاذ صلاح الدين

ـ مغرب ـ

و انتعرض الآن الجانب التشريعي لهذه الحقوق ، و معلوم أن كثيراً من الناس يخطئون في هذه المناسبة ، فيعتبرون المفهوم الغربي للحقوق مقاييس لهم ، ثم يتقوون من الكتاب و السنة قائمة من الحقوق ينطبق عليها مقاييس الغرب و تتفق و نطاقه المحدود ، الأمر الذي يجعل المفهوم الإسلامي للحقوق تابعاً للفهوم الغربي فينزل في الدرجة الثانية و لا تتضح ملامحه الحقيقة .

إن الحقوق الأساسية لدى الغرب تدور في نطاق العلاقة بين الفرد والدولة ، و الحقوق التي يULKها الفرد في الدولة بازاء سلطتها الواسعة تعتبر حقوقاً أساسية لدى الملاد - من بآفات نبات الهولى إلى بابا نويل إلى عادة تقديم الهدايا في هذا الاحتفال - هي عادات وثنية محضة :
 هذا مرد رائج مروع لحقيقة الاحتفال بما يوصي بأنه « عبد ميلاد المسيح » ، عليه السلام نقلناه حرفاً من مصدر كنيسي معاصر صدرت حتى الآن ثلاثة طبعات متلازمان ، و يكون الدستور بينهما بمثابة « اتفاقية » تعين لواحد منها حدود سلطته المعترف بها . و الآخر حدود حقوقه الأساسية .

بالعكس من ذلك فإن الفرد و الدولة في الإسلام أو الرعية و الحكم ليسوا خصمين ، فلا الحكم يعترف بحقوق الفرد ولا الفرد يسلم بسلطة الحكم ، إذ ليس بينهما وثيقة دستورية اتفق عليها الاثنين حول تعين الحقوق و السلطة بوحي من

ـ سيبيل و دويس ـ وفي روما الوثنية « فورتشيونا و جوبيربور » حتى في اليونان و الصين و اليابان و تايوان وجد مثيل للأم و الطفل قبل ميلاد المسيح بزمن طويل . و هكذا أصبحت أيضاً فكرة « الأم و الطفل » في القرنين الرابع و الخامس الميلاديين عند ما كان مئات الآلاف من وثنى العالم الروماني « يقبلون » المسيحية التي كانت لها شعبية وقها ، حاملين معهم عاداتهم و عقائدهم الوثنية القديمة مخفية تحت أسماء . هنا وقع مسيحي ليس إلا ، أصبحت هذه الفكرة أيضاً ذات شعبية كبيرة .

ردة منظمة ؟

إن الأصل الحقيق لعبد الملاد إنما يعود إلى بابل القديمة ، إنه جزء لا يتجزأ من الردة المنظمة التي أمسكت بخناق العالم المخدوع طيلة هذه القرون العديدة : لقد كان المصريون القدماء يؤمدون دوماً بأن ابن ميزيس - و هو الاسم المصري ملك السماء - ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر . و كان الوثنيون يحتفلون بهذا العيد المشهور في معظم أنحاء العالم المعروف على مدى قرون عديدة قبل ولادة المسيح . إن الخامس والعشرين من ديسمبر ليس هو يوم مولد يسوع . . . المسيح الحقيقي ، . . . ويضى المؤلف فيثبت بالأدلة التاريخية - أيضاً - أن مظاهر الاحتفال بعيد الملاد - من بآفات نبات الهولى إلى بابا نويل إلى عادة تقديم الهدايا في هذا الاحتفال - هي عادات وثنية محضة :

هذا مرد رائع مروع لحقيقة الاحتفال بما يوصي بأنه « عبد ميلاد المسيح » ، تلك هي حقيقة أن عقيدة التثليث نفسها لا تعدو أن تكون كعبد الملاد سواء فكره وثنية (أخفاها وثنى القرنين الرابع و الخامس تحت اسم له وقع سواء مسيحي) ليس إلا .

و من يخامره أدنى شك فليقرأ المقال مرة أخرى . . .

و في هذه الخلافية نستطيع أن نلمس اتساع نطاق الحقوق الأساسية في الدولة الإسلامية ، إذ أنها ليست كحقوق الدول المادية التي تتحدد بين علاقة الفرد مع الدولة ، إن نطاق دستور القرآن ليسع حياة الإنسان بأسرها ، لأنه لا يضبط العلاقات بين الفرد و الدولة فحسب بل إنه يتقدم خطوة أخرى فيتناول العلاقات كلها من العقائد و العبادة و الأخلاق و الاجتماع والمدنية و الاقتصاد و السياسة و العدالة و السلام و الحرب وما إليها من علاقات لا يأنى عليها الحصر في نواحي الحياة الأخرى وبضبطها بحيث لا يترك للدولة إلا مجالاً محدوداً للتشريع مع وضع حد في هذا المجال المحدود أيضاً على تشريع حر ، و الشهادة على رجال القانون أن لا يتجاوزوا الكتاب و السنة قيد شعرة في تشرعيتهم الذي يجب أن يتفق و روح الشريعة . فالحقوق التي منحها الكتاب و السنة لفرد من الأفراد و أصبحت جزءاً للدستور حيث لا تملك فيها الدولة أى سلطة تشريعية ، ودوائر العدل كلها تقر بها ، تعتبر حقوقاً أساسية ، لا تتحدد في حرمة النفس و حرمة العرض و حرمة المال ، و في الانصاف و المساواة و الحرية ، و إبداء الرأي و حرية العقيدة بل إنها تتجاوزها من حقوق مدة الرضاعة للطفل الرضيع إلى سوق الصداق للزوجة ، تلك التي عينها الله و رسوله ، و لا يمكن تناولها بالتغيير والتعديل أبداً ، ولقد أطلق القرآن الكريم مصطلح حدود الله على الحدود التي فرضها على سلطة الإنسان التشريعية و هذه الحدود إنما تعود على الفرد و الدولة كليهما على السواء ، فالأشباء التي أحلاها من بودها ، أو مادة من موادها أن تقبل أي مندوحة للنقاش و تبادل الآراء ، لا يستطيع أن يحررها على نفسه ، و لتنظر إلى تعاليم القرآن حول العمل بهذه الحدود ، يقول في سورة البقرة بعد بيان فرضية الصيام و أحكامه .

• تلك حدود الله فلا تقربوها (البقرة ١٨٧) .

رغبة النفس أو بحكم الأهواء ، بل إن كلاً منها يكون مرتبطاً بعهد من ربه والحاكم الأعلى ، على وجه سواء ، كل واحد منها يحتل مثلاً واحداً من حيث كونه خليفة الله ، إذ أن الخلافة ليست لفرد أو جماعة بل إنهاأمانة فوضها الله تعالى إلى الأمة الإسلامية بأسرها ، يقول الله تعالى :

• وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَلَوْا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَا سَتَّخْلُفُ الظِّنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ • (١) .

هذه الآية واضحة في كون ساطة الخلافة أمانة عامة بين المسلمين كله من حيث الجميع . و ذلك ما جعل الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يرفض لقب الخليفة لنفسه بدليل أن الخلافة إنما هي للأمة الإسلامية كلها لا لنفسه فحسب ، الواقع الأصيل لخلافته هو أن المسلمين كانوا قد ألزمواه سلطة الخلافة برضاه ، ونظراً إلى هذه الحقيقة فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رضي بلقب «أمير المؤمنين» لنفسه وظل هذا المصطلح قائماً إلى من جاء بعده من الخلفاء الراشدين ، إن أمير المؤمنين و الرعايا الذين يعيشون تحت امرته و في حدود حكمه مسؤولون عن تنفيذ حدود الله ، كل في حد ذاته و وظيفته ، إن حقوقهم و سلطتهم ليست مما اتفقا عليه فيما بينهم ، بل إنها منزلة من عند الحاكم الأعلى ، و لذلك فإن كلام الأمير و الرعية مطلوب منهم أن يعيشوا مع دستور الكتاب و السنة الخالدة الدائم الذي لا يعرف نسخاً أو تعديلاً (Irrevocable) و الذي لا يسع أي بند ، أو مادة من موادها أن تقبل أي مندوحة للنقاش و تبادل الآراء ، ولا صدام بين حقوقهم و سلطة أميرهم ، فانهما نطاقان متصلان الحالات والأجزاء ، لا ينفك بعضها عن الآخر .

(١) سورة التور : ٥٥

ربيع الثاني ١٤٠٠

البعث الإسلامي

« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك و الله غفور رحيم » (التحریم - ١) ،

رغم أن النبى ﷺ لم يكن قد حرم العسل على غيره من عامة الناس ، وهل يمكن أن يخطر بباله ﷺ أن يحرم ما أحله الله ، سوى أنه منع ذلك لنفسه فقط ولكن عمل الرسول يكون حجة على الناس خاصته الله تعالى وأخبره بأنه لا يملك الله و رسوله ، يقول :

أى خيرة في تحريم شئ أحله الله ، ولو على نفسه فحسب .
هذه سلطنة النبى بازاء أحكام الله تعالى في جانب وفي جانب آخر يصرح القرآن بأن حكم الرسول و قضاياه هو الحكم الأخير المحتوم في الأمور التي ينقصها حكم الله ، أو تطلب الشرح والإيضاح ، وإن حكم الرسول فيها كحكم الله تعالى ، وذلك لأن الرسول إنما هو مظير حاكمة الله تعالى في هذه الدنيا ، في السياسة و القانون ، و لقد عين الله تعالى مكانة الرسول كشارح (Interpreter) و كشرع (Legislator) في قوله : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (النساء - ٨٠) .
و ما آتكم الرسول بخذه ، و ما نهَاكم عنه فانهوا » (الحشر - ٧) .

و إذا وضعت قائمة حقوق الإنسان الأساسية في الدولة الإسلامية في ضوء الكتاب و السنة مع ملاحظة مكانتها في هذا المجال لشملت جميع ما عنده الله و ما وضع الله تعالى الحد على التشريع لعامة الناس بل إنه لم يجعل لنبيه ﷺ أى سلطة للتشريع من عند نفسه فيها يوجد فيه حكم الله و شريعته ، يقول :

« قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاه نفسى ، إن أتبعد إلا ما يوحى إلى ، إن أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » (يونس - ١٥) .
فنعلم أن النبي ﷺ لما حرم على نفسه ما أحل الله له من العسل ابتجاه مرضاة بعض أزواجه سأله الله عما إذا كان قد حرم شيئاً على نفسه أحله الله .

و يقول و هو يتحدث عن صفات أهل الإيمان :

« التائبون العابدون الحامدون السائرون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف و الناهون عن المنكر ، و الحافظون لحدود الله » (التوبية - ١١٢)

و القرآن صرخ بأن الإنسان ليس له أن يضع قانوناً فيما فيه قانون الله موجود ، و ليس له أن يحل أو يحرم و يبيح و يمنع ، بل و لا يسعه إلا اتباع الله و رسوله ، يقول :

« اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » (الأعراف ٣)
« و من لم يحکم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - هم الظالمون - هم الفاسقون » (المائدة ٤٤ - ٤٥ - ٤٧) .

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتمدين » (المائدة - ٨٧) .

« قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً و حلالاً ، قل الله أذن لكم ، ألم على الله تفتررون » (يونس ٥٩) .

« و لا تقولوا لما تصرف أسلنكم الكذب ، هذا حلال و هذا حرام انفتروا على الله الكذب » (النحل - ١٦) .

« وما وضع الله تعالى الحد على التشريع لعامة الناس بل إنه لم يجعل لنبيه ﷺ أى سلطة للتشريع من عند نفسه فيها يوجد فيه حكم الله و شريعته ، يقول :

« قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاه نفسى ، إن أتبعد إلا ما يوحى إلى ، إن أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » (يونس - ١٥) .

« فنعلم أن النبي ﷺ لما حرم على نفسه ما أحل الله له من العسل ابتجاه مرضاة بعض أزواجه سأله الله عما إذا كان قد حرم شيئاً على نفسه أحله الله .

فالحقوق التي تشير إليها الآية للرضيع وأمه ووالده، كلها من ضمن الحقوق الأساسية ، ذلك لأنها جزء من دستور الدولة ، وتعين بأمر من ربها ، وهي مما يمكن الحصول عليه عن طريق المحاكم ، فلا تسع الدولة أن تضع قانوناً ما في هذا الموضوع ، فالمدة التي قررها القرآن للرضاعة لا يمكنها نقص يوم أو زيادته فيها ، ويمكن تقدير حق الرضيع هذا في الدولة الإسلامية بما وقع للغامدية التي جاتت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : إني قد زنت فطهري ، وإنه ردها أربع مرات ثم قالت : فواهه إني لحبل ، قال : أما لا فاذهي حتى تلدي ، فلما ولدت أتها بالصبي في خرقه ، قالت هذا قد ولدته ، قال اذهي فأرضعيه حتى تفطميه . فلما فطمته أتها بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت هذا يا نبي الله ، قد فطمته ، وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها خفر لها إلى صدرها و أمر الناس فرجوها (١) .

هذا الحديث فيه دليل على أن الرسول ﷺ إنما أخر تنفيذ الحد على الغامدية للحفاظ على النفس أولاً ، ولاستكمال مدة الرضاعة ثانياً ، ولما اطمأن إلى الصبي أنه لا يضره فطامه وفقدان أمه ، فعل ذلك ، ففي الحادث إشارة إلى الحقين الأساسيين اللذين كانوا يضيئان لو لا أن تنفيذ الحد آخر ، وإن تأجيل الحد إلى أجل على إثم كالزنا يؤكد ما للجنسين والصبي من حق أساسي في الإسلام فضلاً عن رعايا الدولة ، و لا شك فإن هذا الحكم الذي أصدره النبي ﷺ من نظائر القانون الإسلامي ، حيث إن الدولة الإسلامية لا تتمكن من أن تحكم بغير هذا الحكم في أي حادث مثله ، والدة بولدها ولا مولود له بولده ، و على الوارث مثل ذلك ، فإن أرادا فصالاً عن تراضيهما و تشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تستعرضوا أو دمكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أعطيتكم بالمعروف ، (البقرة - ٢٣٣) .

الولادة و حق الرضاعة للطفل ضمن الحقوق الأساسية

(١) تفسير القرآن للودودي ج ٣ / ص ٣٣٦ .

والحد على جور الولادة والحكم بمساعدتها ، بالعكس من ذلك فإن الحقوق القانونية تعتبر ضمن التشريع العام (Legislation) و في نطاقه ، و بامكان الدولة أن تقوم بأى تعديل أو تغيير و حذف و زيادة بحكم سلطتها التشريعية .
فلننظر - مع ملاحظة هذا الفرق الهائل بين الحقوق الأساسية والحقوق القانونية -

إلى كل حق صرخ به الكتاب والسنة ، وليس هو في نطاق سلطة الدولة التشريعية و الذي يمكن الانتفاع بها عن طريق المحاكم العدلية ، ولم يمنع الكتاب والسنة أى سلطة غير عادلة فيه ، حتى يمكن سلبه أو تعطيله استناداً إلى طوارئ الأوضاع وما أشبهها ، إن حقاً كمثل هذا كيف يمكن فصله عن قائمة الحقوق الأساسية ؟ المجرد أن الغربيين إنما يعتبرون الحقوق التي لها صلة بعلاقة الفرد مع الدولة حقوقاً أساسية ، ويمكن الاستدلال بهذا المنطق للبحث على أتباع الغرب ، ولكن لا يقام له وزن ما في المصطلح القانوني للحقوق الأساسية ومفهومها الحقيقي ، إن الحقوق التي تحمل مكانة عالية في التشريع ، ولا يمكن الدولة أن تتناوّلها بأى نسخ أو تعديل ، والتي يمكن الاستناد إليها عن طريق المحاكم العدلية ، تعتبر - غير شك - حسب أى تعبير قانوني من الحقوق الأساسية .

فتلاً إذا طلقت امرأة ذات رضيع يعين القرآن بين الرضيع والمطلاقة وزوجها المطلق حقوقاً وواجبات ، يقول :

و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين من أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها و لا مولود له بولده ، و على الوارث مثل ذلك ، فإن أرادا فصالاً عن تراضيهما و تشاور فلا جناح عليهما ، وإن أردتم أن تستعرضوا أو دمكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أعطيتكم بالمعروف ، (البقرة - ٢٣٣) .

بقوله : « وَأَتَوْا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً ، فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ ، فَكَلُوْهُ هَبَّةً مِّنْهَا » (النساء - ٤) . وَ فِي آيَةٍ أُخْرَى « فَإِنْ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُ فَاتُوهُنَّ أَجْوَرَهُنَّ فِرِضَةً » (النساء - ٢٤) .

كَانَ الْقُرْآنَ قَدْ جَعَلَ الصَّدَاقَ حَقًا لِلْمَرْأَةِ لَازْمًا عَلَى زَوْجِهِ إِلَّا أَنْ تَنْازِلَ عَنْهُ الْمَرْأَةُ بِرِضاِهَا مِنْ غَيْرِ إِكْرَارٍ ، وَ لَكِنَّ الدُّولَةَ لَا تَمْلِكُ أَيْ سُلْطَةً فِي إِسْقاطِ هَذَا الْحَقِّ أَوْ تَحْدِيدِهِ ، وَ لَذَلِكَ حِينَما أَرَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُضْعِفَ حَدَّا عَلَى الصَّدَاقِ وَ يَحْدِدَهُ ، وَ قَالَ إِثْنَا سَاهِ خَطْبَتِهِ : لَا تَزِيدُوا صَدَقَاتِهِنَّ عَلَى ٤٠ / أُوْقِيَّةً مِّنَ الْفَضْلَةِ ، وَ إِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ بْنَتُ أَغْنِيِ الْأَغْنِيَاءِ ، وَ مَا زَادَ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ يُوْضَعُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

قَامَتْ اِمْرَأَةٌ طَوِيلَةٌ مِّنْ صَفِّ النِّسَاءِ وَ رَفَعَتْ صَوْتَهَا فَائِلَةً لِمَنْ لَكَ حَقٌّ فِي هَذَا ، قَالَ كَيْفَ لَا : فَأَجَابَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ فِي طَارِأً فَلَا تَأْخُذُوهُنَّ شَيْئًا ، أَنَا خَذْنُوهُنَّ بِهَنَّا وَ إِنَّمَا مِنِّي » (النساء - ٢٠) .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَصَابَتِ الْمَرْأَةُ وَ اخْطَأَ عُمَرَ ، وَ فورَ ذَلِكَ رَجَعَ عَنْ حُكْمِهِ وَ كَفَ عنْ تَحْدِيدِ الْحَقِّ عِنْدَمَا سَمِعَ حُكْمَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ ، وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَدَاقَ الْمَرْأَةِ أَيْضًا مِّنَ الْحَقُوقِ الْأَسَاسِيَّةِ لَا تُسْطِيعُ الدُّولَةُ إِسْقاطُهُ أَوْ تَحْدِيدُهُ وَ تَعْطِيلُهُ .

وَ كَذَلِكَ الْقَصَاصُ ، وَ الْدِيَةُ ، وَ النَّفَقَةُ ، وَ الْأَرْثُ ، وَ الْوَصْبَةُ وَ النَّكَاحُ وَ كَذَلِكَ الْقَصَاصُ ، وَ الْدِيَةُ ، وَ النَّفَقَةُ ، وَ الْأَرْثُ ، وَ الْوَصْبَةُ وَ النَّكَاحُ وَ الْطَّلاقُ ، وَ قَضَائِيَا الْعُقُودِ وَ التَّعْزِيرِ وَ الْحِرَابِ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا يَعْتَرِ حُقُوقًا أَسَاسِيَّةً عِنْهَا كِتَابُ اللَّهِ وَ مَسْنَةُ رَسُولِهِ ﷺ ، وَ إِنَّ الدُّولَةَ لَا تَمْلِكُ التَّعْدِيلَ وَ التَّغْيِيرَ بِتَفْصِيلٍ ، وَ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِجُرْدِ تَوْصِيَّةٍ خَالِقَةٍ بَلْ إِنَّهُ حَقٌّ أَسَاسِيٌّ لَا تُسْطِيعُ أَنْ تَغْيِيرَهُ الدُّولَةُ بِسَاطِتَّهَا التَّشْرِيعِيَّةُ ، إِنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى تَجْرِيدِ الْوَالِدِينَ مَسْؤُلَيَّةِ تَكْفِلِ الْأُولَادِ .

وَ لَنَأْخُذَ الْآنَ مَسَأَةَ الصَّدَاقِ ، فَإِنْ حَقُّ الزَّوْجِ عَلَيْهَا أَنْ تَسْتَمِعَ مِنْهُ الصَّدَاقَ حَسْبَ مَا انْفَقَ عَلَيْهِ عِنْدَ عَقْدِ الزَّوْجِ ، كَمَا أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى هَذَا الْحَقِّ تَفْيِيدهَا فِي الْحَيَاةِ وَ الْمَجَمِعِ .

المرأة قبل الإسلام و بعده

(الحلقة الثانية)

الأستاذ معيد بن عبد الله سيف الحامى

سابعاً : اليهودية

لقد اعتبرت بعض طوائف اليهود البنت بمرتبة أدنى من مرتبة أخيها الولد و نزلوا بها إلى مستوى ما بعده مستوى ، نزلوا بها إلى مستوى الخدم وأحط منه . و لم تكن التقاليد تسمح لها بأن ترث شيئاً من أبوها إذا كان لها إخوة ذكور ، و كان للأب مطلق الحرية عليها و كان له الحق في يبعها إذا أراد ذلك شرط أن يبيعها قبل سن البلوغ .

و عند ما تتزوج المرأة ينتقل كل ما تملكه إلى زوجها ، وله الحق على كل ممتلكاتها مدة بقائها تحت رباط الزوجية .

و إذا فاجأت الزوجة زوجها في عملية خيانة زوجية (الزنا) بأمرأة أخرى فما عليها إلا أن تصبر على ما تراه ، وتسكت دون أن تبس ينفث شفة ، و ذلك لأنه كان للزوج الحق الكامل عليها يعمل ما يشاء دون معارضتها .

و يعلم التلود اليهود أن الصلوات العلانية في الجامع اليهودية تستدعي حضور عشرة رجال لأن تسعه رجال و مليوناً من النساء لا تؤلف حفلاً كاملاً ، فيكون عندئذ حضور الله ناقصاً ، لأن المرأة ليست شيئاً ، ونقرأ ما يلي من كتاب همجة التعاليم الصهيونية لكاتب بولس حنا سعد .

المناعة
٢٥

إن جمهوراً من الحكام الأوائل كالبابلي داب وفشنال وغيرهما كانوا ينادون جهاراً في كل مدينة ينزلون بها ، ولا يجدون لهم امرأة من النساء تزيد أن تكون امرأة لهم بضعة أيام .

و يصرح الرباني اليافي في التلمود : على الرغم من يوم الغفران الكبير كان ينفض بكاره عذاري كثيرات لأن الخطيبة لا تم إلا أمام باب القلب وأما شر الرجال فترك داخل النفس فقاً .

و يفضي التلمود عن الرباني العازر : أنه لم يترك في العالم بأسره امرأة من غير أن يكون صاحبها وفي بعض الأيام سمع أن واحدة منهن تقتحم مصاجعتها صندوقاً من الذهب فحمل الصندوق و ذهب إليها قاطعاً سبعة أشهر .

إن اليهودي يمكنه استعمال اليهودية كإيهام وهي بدورها لها أن تحيل أولاً ، و إذا فض بكاره نصرانية و جلت منه فان أولادها لا يدونون في التقويم تحت أسماء اليهود ويمكن استعمال الصادمية (١) كلما كان ذلك مفرحاً له إلا أن الرجل غير اليهودي لا يمكنه أن يستعمل صادوميا إلا المرأة غير اليهودية . إن اليهودي يستطيع إشاعة شهواته من الأجنبي و امرأته من غير وازع أو رادع . لذلك يعلم التلمود اليهود أن اليهودي إذا زنى بامرأة غير يهودية أو هتك عرض فتاة أجنبية فإنه ينال ثواباً عند الله . وكما أن الوالد يعمل على توفير السعادة لأبنائه هكذا الله تعالى - استغفر الله - يعمل على إسعاد أبنائه الاسرائيليين بأن يترك لهم الحبل على الغارب .

من الفطنة الانقطاع عن المراقص لأن في ذلك خطيبتين :

(١) مصاجعة الرجل أو المرأة من الدبر .

(٨٠)

١- أنواع الراقصات تثير كواطن الشهوات القبيحة ٢- و جاملن الذي يسترق منها عبارات المدح و الثناء .

وهذان الأمران معنوان بتاتاً إذا كانت الراقصات غير يهوديات ، قال موسى لا تشنها امرأة قريبك و من يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبة يستحق الموت . التلمود يعلم أن الله تعالى لم يحرم على اليهودي ارتكاب الفحشاء إلا مع امرأة قرية اليهودي فقط أما نساء الآجانب فباحة له .

إن اليهودي لا يؤمن بأنه يرتكب الفحشاء عند ما يفضي بكاره فتاة نصرانية ، وأن لليهودي حقاً في أن يتمتع بامرأة غير مؤمنة (أي أجنبية) إن تجارة البغاء الأجنبية أو الأجنبية ليست إنما لأن الشريعة براء منها . و لهذا السبب يسمح في بعض الظروف لليهودية أن تتزوج نصرانياً حتى تسلبه دينه بمساكنها له مساكنة غير شرعية .

إن من يعلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمة يمكنه أن يصير حكماً ، ومن يعلم أنه ارتكب الفحشاء مع خطيبته : له أمل كبير في الحصول على صدقة الشريعة ، ومن يعلم أن ارتكب الفحشاء مع شقيقته له أمل كبير في إنارة نفسه ، ومن يعلم أنه ارتكب الفحشاء مع امرأة قرية يحصل على السعادة الخالدة .

إن البنت التي لها من العمر ثلاث سنوات ويوم واحد تكون خطيبتها بالمضاجعة ولكن إذا كان عمرها أقل من ثلاث سنوات يلتزم خطيبتها إزاله بكارتها . ماذا تقول المرأة اليهودية عند ما تشاهد زوجها متعلقاً تعليقاً ذمياً بامرأة ثانية معها تحت سقف واحد .

ليس لها بحسب نص التلمود أن تشتكى أو تذمر . منها صنع الإنسان في امرأة فله الحق في صنعه . . . جاءت امرأة تشتكى

زوجها أمام الربان قائلة إن زوجها قد ارتكب الصادومية فلم تسمع منه إلا هذا : «ابنی أنا لا أقدر أن أصنع لك شيئاً لأن الشريعة قد جعلتك مأكلة للغير». و من حيث إن الشريعة تحول الرجل حق استعمال أمرأته صادومياً لذلك ليس على المرأة أن تذمر إذا عرف بعلمها امرأة ثانية من الأجانب لأن اليهود لا يأثم إذا ارتكب الفحشاء مع غير اليهودية .

هذا بالإضافة إلى أنه كان يقع نصيب الأسد لاحفاظه على المطالبات اليومية لقوانين التعذية اليهودية على عاتق المرأة لأن منزلتها كانت أدنى منزلة في المجتمع اليهودي إذ كان لزاماً عليها أن تناكد أن اللحوم والماكولات اليومية الأخرى ، لاحتياط بالأشياء المحرمة ، و يجب عليها إلا تمس شيئاً من الماكولات مثل العشار (الطرشى) أو الخنزير أو تسخين الشربة وهي في حالة غير طاهرة شرعاً (١) .

ثاماً : في النصرانية

يقول لنا رياض الدوربي في كتابه باللغة الانجليزية : حقوق المرأة في الاسلام مقتبساً من الكتاب : الزواج شرعاً وغرباً الذي قام بتأليفه كل من دافيد وفيرا مايس : «لا يعتقد أحد أن تراثنا النصراوي حال من ذلك الحكم الناقص ، أنه من الصعوبة يمكن العثور على مجموعة الاشارات المشينة بالنسبة للمرأة إلا في تقارير آباء النصارى ، يتحدث ليكي المؤرخ المشهور أن هذه الامور المحرضة المخيفة والضارة والتي تشكل جزءاً واضحاً ومضحكاً من كتباً الآباء ، أنهم كانوا يظهرون المرأة أنها واقفة أمام باب جهنم ، لأنها لم كل مساوى للانسان ، يجب عليها أن تعيش في عقوبة دينية مستمرة ، و ذلك بسبب اللعنات التي جرتها على العالم . كان لزاماً عليها

(١) موسوعة المعارف البريطانية (المجلد الخامس) الصفحة ٧٥٢ بتصريف .

البعث الاسلامي
المرأة قبل الاسلام و بعده

أن تخجل من ملابسها (١) لأن هذه الملابس تمثل ذكرى سقوطها يجب عليها أن تستحي من جمالها لأنه أخطر سلاح من أسلحة الشيطان وأفواها . إن الهجوم الخطير والأكثر ضرراً للمرأة هو ما قاله تبيروليان : « هل تعرفن أن كل واحدة منكن هي حواء بعينها ؟ إن حكم الله على جنسكن باق إلى اليوم و عليه يجب أن يظل الاشم باقياً حياً أيضاً ، إنك مدح إبليس ، إنك كشفتن وفضضتن ختم تلك الشجرة الممنوعة ، إنك أول من تخلى عن القانون المقدس ، أنت هي تلك المرأة التي أغرت ذلك الذي لم يكن إبليس من البطولة بحيث يستطيع أن يهجم عليه . أنت بكل سهولة وبساطة صورة الله « الرجل » وعليه قد كان لزاماً على ابن الله أن يموت نتيجة الإبوق وهي الموت . لم تكن الكنيسة توكل على حالة المرأة الدينية خسب يد أنها كانت قد حرمتها الحقوق الأساسية والقانونية التي كانت المرأة تتمتع بها سابقاً (١) .

لسقط بعض الشئ من الأجل المعترف به رسميأً عندهم :

و كانت الحياة أجمل جميع حيوانات البرية التي عملها رب الله : فقالت لمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلوا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحبة : من ثمر شجر الجنة نأكل و أما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلوا منه ولا تمسوا لثلا ثموتا : فقالت الحبيبة للمرأة إن ثموتا بل إنه عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما و تكونان كائنة عارفين الخير و الشر ، فرأى المرأة أن الشجرة جيدة لا تأكل و أنها بهجة للعيون و أن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها

(١) يقول لنا التلود : تشير ملابس الراقصات الشهوة الجنسية وحملهن بمحنتها ندمهن ، إن هذين الشئين هنوعان منعاً باتاً إذا كانوا من غير اليهوديات .

(٢) رياض الاوربي : حقوق المرأة في الاسلام .

الارض لاجل اعمالكم ، و أنها سوف تعطيبكم العليق (العوسم) والأشواك
و تأكلون الخبر من عرق جبينكم . و عليك أن تذكر أنك طين و لم يهتم بعود
و قال حواء : وأنت التي أصغيت إلى الشيطان و أعطيت الطعام إلى زوجك
سوف تعيقين تحت سيطرة الرجل الذي سوف يجعلك أمة وتدين أطفالا بالخاض .

ثم قال رب : ابتعد عن وجهي يا ملعون و خرج الشيطان و بعده قال
الله لأدم أخرجنا من الجنة و توبا ولا تقنطا لأنني سوف أرسل ابنكما (١) العاقل
بحيث تطرد بذرتكما سيطرة الشيطان من جميع الجنس البشري لأنني سوف أعطى كل
شيء لرسولي (٢) الذي سوف يأتي .. .

و لقد أطلت بعض الشئ في النقل ليقارن القاريء بين ما ذكره النصارى وبين
و خاصة في أناجيلهم المعروفة وبين ما ذكر المسيحي برنبابا .

« ناسعا » : القوانين الكنسية :

تعطى موسوعة المعارف الكنسية قراءة ممتعة عن بعض قوانين التوراة أو
بالأخرى القوانين الموسوية .

خطبة المرأة (٣) :

إذا أراد رجل أن يخطب امرأة و يكتب الكتاب فما عليه إلا أن يدفع
مبلغ الشراء وهو نوع من المهر الذي يقدم لوالدها و عند ذلك يمتلكها ملكا تاما .
ولم يكن لزاما الحصول على موافقة الفتاة كشرط لاتمام العقد ، و قد كان

(١) (٢) هذا تلميح عن الرسول عليه السلام و توجد إشارات كثيرة عنه عليه السلام
من المهر ؟ أجاب آدم : يا رب ، زوجي قدمت لي و طلبت مني أن آكل فأكلت
فقال الله لأدم : بما أكلت رضخت إلى صوت زوجتك و أكلت من المهر فلعمته على

(٣) رياض الدورس : حقوق المرأة في الإسلام .

و أكلت و أعطت رجلاً أيضاً معها فأكل . ، فزادى رب الله آدم و قال له
أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة خذلت لأنني عريان و اختبرت فقال :
من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة ؟ و قال للراية تكثيراً أكثر أتعاب
حبلك بالوجه تدين أولاداً وإلى رجالك يكون اشتباهاً و هو يسود عليك (سفر
التكوين الأصحاح الثالث من ١ إلى ٧ و ١٢ و ١٦) .

أما إذا فتحنا الأصحاح ٤١ من إنجيل برنبابا الفقرات من ١٠ إلى ١٣ و ١٨
و ١٩ نجد الآتي :

و اقترب الشيطان من حواء لأن آدم زوجها كان نائماً ، و تقدم الشيطان
إلى المرأة كملك جميل و قال لها لماذا لا تأكلين من القمح و التفاح ؟ أجبت
حواء قال الله إذا أكلنا منها لن تكونا طاهرين و عليه سوف يطردننا من الجنة
قال الشيطان : لم يقل الحق ، عليك أن تعرفي أن الله غيره لا يحب الانداد ويحمل
الناس كلهم عيادة . ، ولكنك و زميلك لو عملتها حسب نصيحتي و أكلتها
 شيئاً من المهر لن تكونا خاضعين لأحد ، و سوف تكونان مثل الله تعرفان الخير والشر .
فأخذت حواء شيئاً من المهر و أكلته ، و عند ما أفاق زوجها من نومه أخبرته
 بكل ما قال لها الشيطان و أخذ ما قدمت له زوجته و أكل منه ، و عندما كان
الطعام ينزل في جوفه تذكر قول الله و بذلك حاول توقف الطعام (من دخوله
البطن) و أدخل يده في حلقه . . و عرف أنها عرياناً . . . وفي منتصف النهار
ظهر رب أمامها قائلاً : يا آدم أين أنت ؟ فقال يا رب اختفيت عنك لأنني
و زوجي عريانان . . قال رب : من الذي أخذ منك طعامكما . هل أكلت شيئاً
من المهر ؟ أجاب آدم : يا رب ، زوجي قدمت لي و طلبت مني أن آكل فأكلت
فقال الله لأدم : بما أكلت رضخت إلى صوت زوجتك و أكلت من المهر فلعمته على

نداً للرجل أو متساوية معه في الحقوق وقد خلق الله آدم أولاً و منه خلقت حواء ، كان الناس يقتبسون هذه المقالات للمجوم على الحركة النسائية (١) .
المقارنة بين كلام هانو و النصرانية عن المرأة :
خرج مؤتمر الديانة النصرانية الذي عقد في القرن الخامس الميلادي بأن المرأة ليس لها روح و أن مصيرها النار و تستثنى منهن مريم أم عيسى و عقد مؤتمر آخر بعد مضي قرن من الزمان على المؤمن الأول ، و قد كان جدول أعماله هو البحث عما إذا كانت المرأة إنساناً من عدمه و خرجوا بنتيجة هي أنها امرأة ، و أنها قد خلقت لصلاح الرجل و عليه كان يجب عليها أن تخده .
و أما في الهند في أساطير ما نجد أن ما نو عن ما خلق النساء فرض عليهم حب الفراش و المقاعد و حب الزينة و الشهوات الدنسة و الغضب و التجرد من الشرف و سوء السلوك فالنساء دنسات كالباطل نفسه و هذه قاعدة ثابتة . إن الزوجة الوفية ينبغي أن تخدم سيدها - زوجها - كما لو كان إله ولا تأذ شيئاً من شأنه أن يقوله حتى إن خلا من الفضائل ، و كانت تزادي ربي أو سيدى .
إذا تعمقت في التفكير سوف تجد أن النصارى حاولوا أن يعالوا و يقولوا عن أمور تتعلق بالمرأة و أن هذه العملية لم تكن إلا مجرد إعادة ما قد قاله ما نو منذ أمد بعيد (٢) .

حادي عشر : في البلاد العربية :

إذا أتينا إلى البلاد العربية و أخص بالذكر مكة المكرمة مهد الإسلام نجد

(١) موسوعة المعارف لكل إنسان (أيفري مانس إنسانيكلوبيديا) مع تعديل

(٢) المرأة بين البيت و المجتمع للبهي الخولي .

الزواج نافذ المفعول .
كان للرجل الحق على زوجته لأنها سلعة أو جزء مما يملكون ، كان من حقه الطلاق ، وقد كان هذا الحق للرجال دون الإناث ، لم تكن الزوجة تتمتع بمثل تلك الحقوق ، وقد كانوا يعتبرون هذا التصرف من الأمور البدئية المعتادة .
استمرت أوروبا في هذه الحالة على مستويات متفاوتة و مختلفة إلى القرن التاسع عشر أو ما بعد الثورة الفرنسية .
• عاشرآ ، : حركة تحرير المرأة :

استمرت المرأة الأوروبية تعاني مشاكل عدم الاعتراف بحقوقها إلى القرن التاسع عشر ، ولما وصلت هذا القرن لم تستطع أن تحمل أكثر مما تحملته سابقاً فاجتمعت النساء في أوروبا و أمريكا و شكلن جمعيات لتحرير المرأة من عودية الرجل و طغيانه .

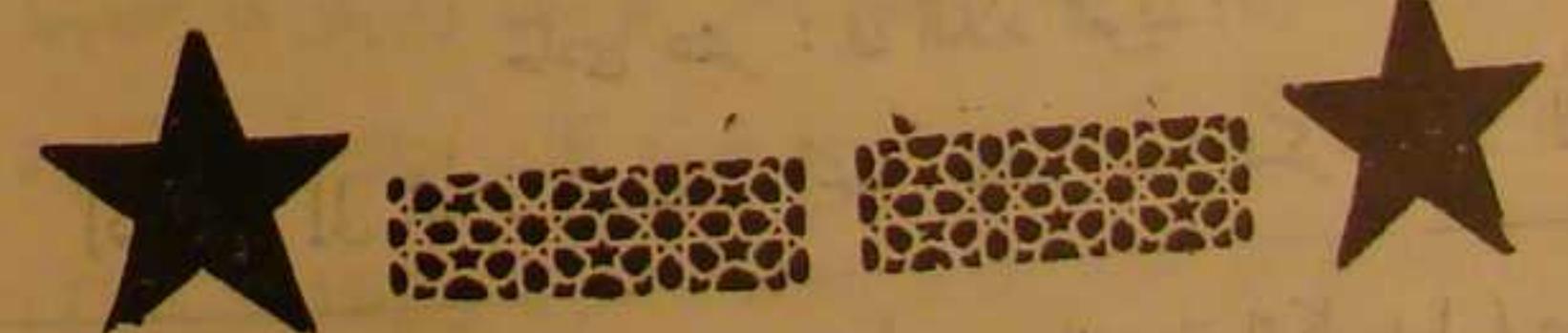
و قد حاولت هذه الحركة أن تجعل المرأة تشارك في المؤسسات التعليمية ، وكانت محركات هذه الحركة و مدبراتها هن : صوفيا براتيان و فرانسيس وماري بسره و دروثيا يالي ، هؤلاء كن في أوروبا ، وقد كانت لوسي ستون في أمريكا ، وكانت هؤلاء النساء يدافعن عن الحقوق الإنسانية للمرأة .

وقد كان مكان المرأة هو البيت و وظيفتها الكبرى هي إنجاب الأطفال و تربيتهم والاهتمام بهم وكان عليها أن تعتمد الاعتماد الكلي على بعلها ولم يكن لها شخصيتها المميزة و ذاتيتها الخاصة بها لأنها كانت تابعة للرجل فقد كانت هناك أمور كثيرة أخرى لها أثرها المباشر أو غير المباشر في تحريك هذه الحركة و إمدادها بالقوة ، والذي دفع عجلة الحركة إلى الإمام تلك المقالات التي كان رجال الكنيسة و غيرهم من الناس يقتبسونها من القديس بولس التي تدل على أن الله تعالى لم يخلق المرأة لتكون

أن الرجل الجاهلي كان يشد بنته و هي على قيد الحياة ، و كان يعتبر المرأة مخلوقة دينما لا قيمة لها و إذا بشر أحدهم أن زوجته أنجبت بنتاً ظل و جمه مسوداً و هو كظيم ، مادا عليه أن يعمل إذا كان يهرب من الناس لأجل العار الذي لحقه الا و هو أن زوجته أنجبت بنتاً .

كان العرب الجاهليون يتلقون نبأ إنجاب البنت على طريقين مختلفين ، كان أكثراً يشدون بناتهم و هن مازلن على قيد الحياة و معها حسب ما كانوا يعتقدون يدفنون كل أنواع العار الذي أصابوا واحد به عند ما كان يقوم بتربيمة البنت بينما كان آخرون يربون البنات على هون و معاناة و استخفاف .

كانت المرأة الجاهلية تورث مثلاً بirth الانسان متاع البيت ، يقول الامام البخاري : عندما يموت الرجل كان للابن الكبير الحق كل الحق على زوجة أبيه ففي إمكانه أن يتزوجها لنفسه إذا رغب بذلك و أن يزوجها لآخر شخص آخر يرغبه و لم يحظر ذلك في توقفها عن الزواج ومنعها عنه ، وإذا كانت ترغب في الزواج فعلتها أن تفدي نفسها بعده .



العمل الاسلامي في مواجهة خطر

واضح رشيد الندوى

إن ما يميز هذا العصر عن العصور السابقة هو الحركة والجد ، و ديناميكية الفكر فقد كان المنتصف الأول من القرن المنصرم . عهد غالبية القوى القاهرة التي جدت القوى الكامنة ، و عطلت الحياة ، فصارت الشعوب تساق ، و تفهـر ضد رغباتها و طموحها ، فاتت الفرائـع و خارت القوى و فـترت المهم ، و صـلـدت الضـهـارـ .

تحرر العالم ، وفي طليعته العالم الاسلامي ، والمسلم يتميز عن غيره في حرية الضمير ، و الانطلاق ، و الحب للحرية ، و الاباء ، و هي خصائص لو تركت بدون تربية روحية و توعية فكرية و توجيه خلقي ، لتطورت إلى نخوة ، و أنفة و عناد ، و تزمنت ، و تصبح أدلة هدم ، و سبب تمزق و توزع .

تحرر العالم الاسلامي فقامت فيه حركات شعبية ، و تنظيمات اجتماعية وإنسانية و أحزاب سياسية حسب المذاهب و النظريات السائدة ، و كذلك قامت دعوات و حركات دينية و منظمات إصلاحية ، ولكن اختلاف الأفكار والمذاهب والهيئات بسبب ازدواجية التعليم ، و وسائل التربية و الاجتماعات الاجتماعية المتعارضة أحدث خليجاً بين هذه الحركات و الدعوات .

ظل هذا الخليج يتسع في العالم الاسلامي ، اضعف التوجيه والتوفيق بين مختلف العناصر

العاملة ، واستقطاب المجهود إلى بناء كيان موحد حسب رغبات الشعب المسلم وتطلعاته وصارت هذه الكيانات المختلفة للعمل متشارعة فيما بينها لزالت و تصلب في أفكارها منحصرة في إطارها الخاصة .

وقد بُرِزَ هذا التوزع الناجم من التزمر والانعزال في الفكر و نُطِّل العمل في سائر الحركات السياسية وغير السياسية ، كما ظهر في الجماعات الإسلامية التي كانت طبيعة عملها وأسلوب الدعوة يقتضي أن ترسم بالحلم واللبونة ، و التسامح فيما بينها ، أكثُر من أي منظمة أخرى وقد دعى القرآن الكريم إليه وحث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

كان موقف بعض الحكومات الإسلامية المعادن إزاء الحركات الدينية وتدخلها في شطاطئها سبباً من أسباب هذا التطرف والمعاندة ، ولكن لم يكن ثمة هبر لثورة الحركات الدينية على سائر النظم الحاكمة في البلدان الإسلامية و دعوتها إلى محاربة كل نظام قائم بلا استثناء ، فإن هذه الدعوة لا تؤدي إلا إلى الفوضوية في العالم الإسلامي . و تتحقق الدعوة الإسلامية ضرراً لا يمكن أن يتلافى بسهولة و تكشف الحركات الدينية التي تقوم بنشاط دعوي وإصلاحي وخلق لقمة الحكم ، وتكتب العداء بدون أي تحقق أي هدف لعمل الدعوة .

لقد حدث هذه الاتجاه لسبعين أحددهما الحرص على جنح ثمار الدعوة وتحقيق الانقلاب الإسلامي في أقرب وقت ، و ذلك فكر لا يتلاءم مع الطبيعة الدعوية ، فإن وظيفة الداعي هي الاجتهد في العمل ، أما النتائج فهي بيد الله ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أسوة حسنة في الدعوة ، فاذهبوا كانوا يسعدون بالشهادة و يستذلون المكاره كما يسعد غيرهم بنتائج دعوته ، و نجاح جهده .

والسبب الثاني وهو خطير في هذا المجال ، هو تسرب عناصر لم تكتمل

تربيتهم و تذوقهم بالدعوة ، و معرفة أساليبها ، و مزاجها ، فاضنموا إلى صنوف الدعاة ، كما ينضم العاملون السياسيون إلى حركات سياسية .

وذلك أمر خطير للغاية للدعوة ، ويجب أن يخترس منه و ينتبه له المسؤولون عن أعمال الدعوة .

عدو في ثياب صديق

كان استخدام القوة حل المسائل السياسية يخص الدول الاستعمارية التقليدية ، و التي تقودها الولايات المتحدة بانشاء القواعد العسكرية ، و التدخل ملاً الفراغ ، و تسوية موازين القوة ، و فرض نفوذها و توسيعه في العالم عن طريق الأحلاف

العسكرية ، و التجارية ، و تنصيب عمدلها في موقع القوة ، و النفوذ السياسي والفكري ، فاتصل النضال ضد الاستعمار بالنضال ضد الولايات المتحدة و مصالحها بحيث إن الولايات المتحدة صارت رمزاً للاستعمار ينظر إليها في مرتبة الاحتلال والاحتياط .

كان العالم الثالث وهو مجموعة الدول التي عانت من الاستعمار الغربي يستند في نضاله ضد الاستعمار إلى الاتحاد السوفيتي للتغاطف مع الدول المضطهدة التي كانت تناضل لحريتها و إعادة شرفها ، فكان بمثابة حامية للدول المناضلة ضد الدول الاستعمارية ، فكسب الاتحاد السوفيتي بهذا السبيل ود الدول المستضعفة وصادقها

و قد ركنت الدول المناضلة ضد الاستعمار في آسيا و إفريقيا إلى الاتحاد السوفيتي و وفدت موالية لها في الأمم المتحدة ، و في منابر الرأي العام الدولية الأخرى ، و خضعت للنفوذ السياسي للاتحاد السوفيتي دول آسوية كبيرة كالفيلق و أفغانستان ، و مصر ، و سوريا ، و العراق ، و إندونيسيا ، و عدد من الدول الأفريقية التي عانت من الاستعمار ، و كان ذلك نتيجة حتمية طبيعية للظروف التي عاشت فيها هذه الدول ، و المرارة التي تجرعها خلال عهد الاستعمار الطويل .

و قد جنى الاتحاد السوفيatic من الصداقة التي تطورت نتيجة لتعاطفه مع القضايا السياسية للدول النامية ، مكاسب اقتصادية و تجارية ، و سياسية كبرى ، ما أتاحه فرصة للتسرب و التوغل إلى مختلف مجالات الحياة في هذه الدول ، ففتح تابده للقضية العربية فرصة للتوسيع العسكري و الاقتصادي في المنطقة العربية ، كما تابده لحركات الاستقلال في أفريقيا فرصة لفرض النفوذ في أفريقيا ، كذلك أثاحت الظروف الخاصة في جنوب شرق آسيا فرصة للتوسيع السوفيatic في المنطقة . ولكن التحركات السوفياتية التي شهدتها العالم خلال السبعينيات تكشف عن الطبيعة الاستعمارية للسياسة السوفياتية ، فقد انسلاخ الاتحاد السوفيatic عن سياسة التأييد القضايا الإنسانية التي ظهر بها بعد الحرب العالمية الثانية و بدأ يخطو خطوات واحدة في سبيل التوسيع والاستعمار الاقتصادي و العسكري معاً ، بالإضافة إلى الاستعمار العقائدي و محاربة الأفكار الحرة و تأييد و مساندة نظم الحكم الاستبدادية التي تقوم ضد رغبات الشعوب ، و انتهج الاتحاد السوفيatic السياسة التي كانت ميزنة القوى الاستعمارية الغربية و هي سياسة التواجد العسكري ، و إنشاء القواعد ، وما يميز الاتحاد السوفيatic عن القوى الاستعمارية الغربية ، إلا ظاهرة النفاق الذي يعامل به مع أصدقائه ، و التواطؤ مع الأعداء ، فقد كانت الدول الاستعمارية التقليدية تتبع سياسة الأحلاف العسكرية ، و القواعد العسكرية ، فاخترع الاتحاد السوفيatic شعاراً جديداً ، أو ستاراً جديداً و هو « اتفاقيات الصداقة » التي تحمل بنوداً سرية للوجود العسكري .

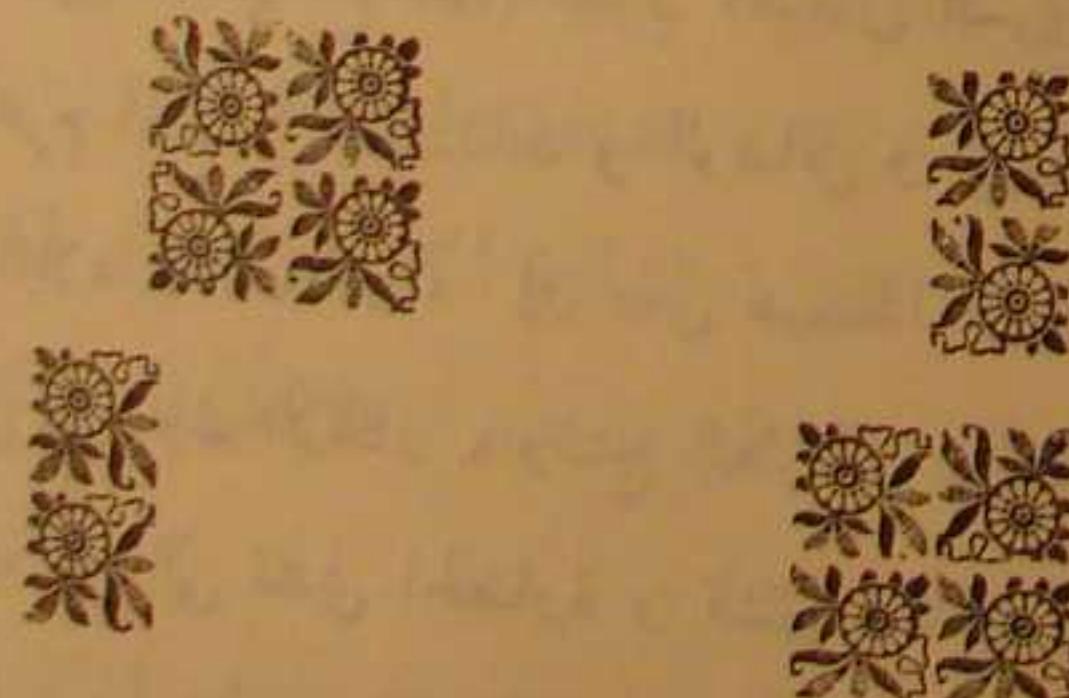
إن الاجراء العسكري السوفيatic في أفغانستان جاء في وقت كان العالم يندد بالحركات الأمريكية أذا ميران فكان الهجوم السوفيatic على أفغانستان استغلالاً

لإيقاف المتأزم ليحقق أقصى هدف يرمي إليه ، وهو عمل لا يتفق إلا مع التفكير و التخطيط الاستعماريين التقليديين ، و إنه يشكل مؤشراً إلى تحول كبير في سياسة الاتحاد السوفيatic ، و هو أن الاتحاد السوفيatic الذي كان رائد السلام في تصور العالم الثالث قد تحول إلى قوة استعمارية تومن بمبادئ القوة ، و إن الحاجز الذي كانت بينه و بين الفوبي الاستعمارية التقليدية كانت من رمال ، و قد زالت إلى غير عودة ، ولم تسول لهذا الهجوم المباغت إلا معاهدات الصداقة التي أبرمها أفغانستان مع الاتحاد السوفيatic ، للدفاع عن التدخل الخارجي ، و هو إنذار لسائر الدول التي تثق به و تعامل معه معاملة الصداقة .

فإذا تعلم هذه الدول درساً من أوضاع أفغانستان لكن ذلك درس الحياة لها

و قد صدق القائل :

إذا امتحن الدنيا ليبت تكتشف
له عن عدو في ثاب صديق



في العالم أجمع ، حتى أصبحت «حقيقة مسلمة» ، لا تحتاج إلى جدل أو نقاش ، حتى إن جميع الدراسات العلمية ، والحركات الفكرية في الغرب قامت على أساسها . . . وهذه في نفس الوقت نقطة لا يقبلها الحق والحقيقة في أي حال من الأحوال ، و الإسلام يعارض هذه النظرية على طول الخط .

الصناعة في الإسلام لا تكيف الحياة ، ولا تصنع النظريات والأفكار ، بل إن النظريات والأفكار هي التي تسخر الصناعة و تكيفها كيف تشاء .

«الأهداف» - في الإسلام - هي التي تتمتع بالحكم الأخير ، و القول الفصل ، و الكلمة المسموعة ، في جميع مرافق الحياة و نواحيها ، أيا كان نوعها ، و منها كانت ضحائمها ، و منها كان نفوذها و فعاليتها .

إن قيمة الصناعة عنده نسبية (Relative) إنها مقبولة و مرحب بها ما دامت تخدم مصالحه ، لا تطغى على مثله وأهدافه و نظرته و أفكاره ، و لا تمسهاسوء أما إذا هي طفت عليها و تعدد حدودها فهي مرفوضة مردودة ، و قد تجلت هذه النظرية في الآية التالية «و لامة مؤمنة خير من مشرك و لو أبغبكم و لا تنكحوا المشركين حتى يؤمروا و بعد مؤمن خير من مشرك و لو أبغبكم ، أو إثلك يدعون إلى النار و الله يدعو إلى الجنة و المغفرة بادنه» ، (١) .

وبذلك ينتهي خراقة «الصناعة الخلافة» للنهاية .

و ظهرت هذه النظرية القرآنية أكثر صراحة في آية أخرى . «و يستلونك عن الحر و الميسر ، قل فيما إثم كبير و منافع للناس ، و إثيمها أكبر من نفعها» (٢) .

إن القيم والأقدار لا تتغير بالوسائل و العمران ، و النهضة الصناعية .

(٢) البقرة : ٢١٨

(١) البقرة : ٢٢١

كيف تؤدي دورنا في بناء العالم المعاصر ؟

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

إن الحياة تغيرت ، فبجب أن تغير معها ، ونسائرها إلى آخر الشوط ، ونهاية المطاف ؟ تلك هي خلاصة ما يقوله دعاء التجدد والتغريب في هذا الزمان ، وعلينا أن ننظر في صحة هذه النظرية قبل أن نحكم عليها بـ «نعم» أو «لا» . إننا نجلي البصر في العالم المعاصر ، ونجول في عواصم العالم الكبيرة المشهورة فنؤمن بصدق هذه النظرية ، ونرى أن الدنيا تقدمت تقدماً كبيراً في جميع نواحيها ومرافقها ، وأصبحت غير ما كانت عليه قبل عقود من السنين ، فضلاً عن الأجيال والقرون ، فإذا كيف يجوز لنا أن نقف جامدين ، متزمتين ، نحو هذا التقدم المشاهد الملحوظ ؟ .

إن المنطق و العقل ، والبداهة و التجربة كلها تقضي أن نغير موقفنا ونغير فوسنا و أفكارنا ، حتى ننسجم مع هذا التطور المدهش السريع ، و لا نخالف عن الوكب ، و لا نحرم المتع و اللذات و الوسائل و التسهيلات التي توفرت و انتشرت في جميع البلاد و الأقطار ، إن معنى هذا أن الحالة الاقتصادية ، والأوضاع المادية هي التي تولد الأفكار ، وتنتج النظريات ، وتصنع الاتجاهات ، ومعنى هذا أن الصناعة هي التي تنشئ الحضارة و تنشئ المفاهيم ، وتحدد الاتجاه ، و تقرر الأهداف .

هذه فلسفة آمن بها الغرب و الشرق ، و أجمع عليها الطبقة المثقفة الذكية

(٩٤)

هذا التطور ، ولا تختلف عن الركب ، قول لا أساس له في عالم الواقع ، إنه من سحر هذه الحياة الزاهية ، المنحرفة الخلابة ، التي عبر عنها القرآن بكلمة بلسعة « ولو أعجبتكم » .

إن الاعجاب بهذه الحضارة التي شاهدتها في الغرب هو الذي يدفعنا على التقليد الأعمى ، ويخيل إلينا من ضجيج الماكينات وعدير الآلات أن الصناعة هي التي أنتجت هذه الحضارة ، مع أن الأمر بالعكس .

إن الدنيا لا تتغير في الخارج أبداً ، إنها تتغير في داخل نفوسنا أولئك تبدو تائجاً لهذا التغيير النفسي العميق على السطح المادي الظاهر ، يقول الله تبارك وتعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١) .

إن الحياة لم تتغير حتى تحتاج إلى تغيير ، إننا نحتاج فقط إلى تصحح مفاهيمنا وأفكارنا واتجاهاتنا ، حتى نستعمل هذه الوسائل في صالحنا كما يستعملها غيرنا في صالحه .

نستعملها في بناء مجتمع نظيف كريم ، وآسرة صالحة ، وحكومة رشيدة ، كما يستعملها أعداؤنا في الضلال والضلالة ، وفساد الدمار ، وإثارة الغرائز وشهوات وإشاعة المنكر والفحشاء .

المصيبة أنتا - في الشرق - نهتم بالوسائل والمظاهر أكثر مما نهتم بالروح والحقيقة ، والهدف والغاية ، والدعوة والرسالة ، فكانت النتيجة أن هذه الوسائل بدأت تتحكم فينا ، وتحل إرادتها علينا بدلاً من أن تتحكم فيها ، وتملك زمامها على إنشاء هضبة وتقديم مثل ، وتجيده أذهان ، إنها آلة صماء في يد من يستعملها .

وتبسطر عليها ونوجها إلى حيث شاء .

إن كثيراً من الشباب المثقفين ، وكثيراً من الموجهين والمفكرين والزعماء

للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة » (٢) .

قال من حرم زينة الله التي أخرج لعباده وطيبيات من الرزق ، قل هي إن الصناعة - من صناعة الأقلام إلى صناعة الصواريخ والأقمار - لا تملك قدرة على إنشاء هضبة وتقديم مثل ، وتجيده أذهان ، إنها آلة صماء في يد من يستعملها .

فالقول بأن الحياة تغيرت ، فليجب أن نغير نظرتنا إلى الحياة ، حتى ننسجم مع

السياسيين ، يظلون أن هذه الوسائل المربيحة هي الحضارة ، وأصبحت المقاييس تتغير حسب الأذواق ، فالحضارة عند البعض رفع مستوى المعيشة والحياة ، فندق كبير مزود بأحدث الأجهزة ، متوفراً بكافة التسهيلات ، والحضارة عند البعض رحلات إلى روما وباريس ، وعند الآخرين تقليعات وموضات ، مع أن كل هذه الأشياء لا صلة لها بالحضارة إنما أدوات في أيدي المتحضرين ، خلفها الله سبحانه للبشر لينظر كيف يعملون ، قائلاً في كتابه المجيد « هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيمكم أحسن عملاً » و قال على لسان قوم موسى عليه السلام « و ابْنَعْ فِيهَا آتاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا نَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا » .

وقد ثبت من هذا « أن الدعوة » إلى التغيير مع تغير الزمن دعوة غير علية ، وغير مبنية على الأصالة ، و التعمق ، إنما تبدو بريئة في أول أمرها ، ولكن سرعان ما ينكشف أمرها ، ويتفضح سرها ، إنما تدل على أنها استوردنا هذه الفكرة من الغرب ضمن مشحوناتنا الأخرى من غير أن نفكر فيها .

فإذا كانت السيارة تحمل الرجل في لندن أو شيكاغو إلى صالة رقص أو حانة خرطتنا - عن شعور أو من غير شعور - أن كل من يشتري هذه السيارة لا بد له أن يتوجه حيث ما توجه إليه الانجليزي والأمريكي .

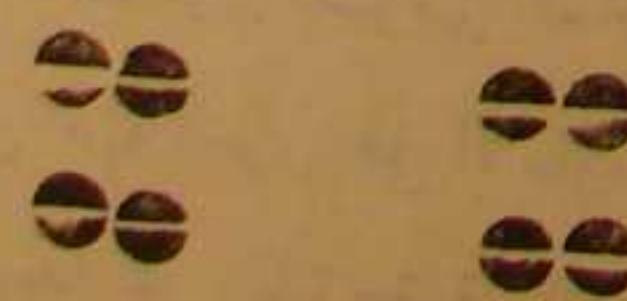
إذا كان التلفزيون في الغرب أداة للبعث الحرام ظننا أن على كل من يضع هذا التلفزيون أو يستورده أن يقدم نفس البراج ، لأن السيارة لم تخلق إلا لتوجه إلى البار ، و كان التلفزيون لم يصنع إلا للخلافة والمجون ، وهذا ينطبق على سائر مرفاق الحياة ، إنما لم نستورد الوسائل فحسب بل إنما استوردنا معها الغايات و المفاهيم ، وال فكرة والروح ، والذوق ، هذه هي الطامة الكبرى والبلية العظمى .

غایات معلومة ، واضحة المعالم ، ظاهرة الملامح ، فالتربيـة في الدول الاشتراكية

غير التربية في الدول الغربية ، بل إن التربية في أمريكا ، غير التربية في إنجلترا ، و التربية في الصين الشيوعية ، غير التربية في الاتحاد السوفيتي ، و ذلك لأن كل دولة أغراضها ومصالحها وأهدافها يسرّها جميع أجهزة البلاد ، بما فيها التربية والرياضة ، والمسرح والسينما والإذاعة ، أما نحن في الشرق فقد نستورد هذه المناهج التربوية ، والكتب التربوية (بنقاومها إلى العريضة) بجملتها ، مع أنها تعارض أهدافنا الإسلامية الواضحة و مثنا العليا ، ومصالحنا الدولية كل المعاشرة ، و تثير صراعاً فكرياً واضطرباً عقائدياً بطبيعة الحال ، وكل هذا ناتج من هذا الوهم الخاطئ بأن الصناعة والنهاية المادية هي التي تغير ملابح المجتمع ، و تفتح آفاق الفكر ، و تمنح الأفكار و النظريات الفاضلة ، و إنما نحتاج إلى أن نتغير و نتطور مع الزمن حتى لا تختلف عن ركب « المتحضرين » و نقى تهمة « الرجعيين »

إنما - منها جمعنا من وسائل و أسباب - نحتاج إلى أن نكون أكثر أصالة و تعمقاً و أكثر ذكاءً و فراسة ، و أكبر صبراً و هدوءاً في مواجهة هذا السبيل المتدقق الفوار ، الذي ينهمر علينا من الغرب ، فنأخذ منه وندع ، ونترك ونختار ، نأخذ الآلات المجردة ، وندع الأفكار الاصقة بها ، نختار العلوم التطبيقية ، ونترك استعمالها للرسالة العظيمة التي آمنا بها ، و الدعوة إلى حناتها .

إنما بذلك نقدم شيئاً منها خطيراً في مضمار العلم و الثقافة للعالم المعاصر ، شيئاً جديداً يسمى على هذه الأفكار ، و الدعوات العصرية كلما ، و نصح اتجاه الإنسانية من جديد لتسير على درب مستقيم لزمن آخر طوبى لا يعلمه إلا الله .



أخبار اجتماعية و ثقافية

حكومة المملكة العربية السعودية و رابطة العالم الإسلامي تستنكران

التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان

استنكرت حكومة المملكة العربية السعودية التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان و وصفت هذا التدخل بأنه تدخل سافر في الشؤون الداخلية لـAfghanistan ، الأمر الذي يتنافى مع الحقوق والآعراف الدولية ، وذكرت بأن التدخل الفاضح يعتبر تهديداً على سيادة دولة مستقلة و امتهانها حقوق شعب Afghanistan .

كما أدلى معاذ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ببيان التالي :

لقد تناقلت وكالات الأنباء العالمية أنباء العدوان الشيوعي السافر على الشعب الأفغاني المسلم مستعيناً بعملائه للقضاء عليه و محظوظاً بوجوده الإسلامي لتنفيذ خططاته في تحويل Afghanistan من المسلمين إلى دولة تدور في الفلك الشيوعي ، و جعلها قاعدة يهددها أمن و استقرار الدول الإسلامية المجاورة .

إن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي ، التي تمثل الشعوب الإسلامية في العالم تستنكر بشدة هذه الجريمة الشنعاء بكل ما تمثل من خرق لقيم الدولة و الحقوق الإنسانية و الاعتبارات الأخلاقية و ما تجسّد من تهديد مباشر لكافة شعوب العالم الحبيبة للإسلام ، و الأمانة العامة لرابطة و هي تشجب هذه الفعلة النكراء تناشد شعوب العالم بحكوماتها و المنظمات الدولية و الدول الحبيبة للإسلام الاحتجاج الشديد على الاعتداء العسكري السوفيتي السافر على شعب Afghanistan العزل و هو الأمر الذي يبرهن مرة أخرى على الأسلوب السوفيتي في فرض النظرية الشيوعية بالارهاب والبطش بعيداً عن رعاية حقوق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها .